سِلسِلَةُ فِقهِ القُدومِ عَلى اللهِ

قِصَّةُ رِحلَةِ الخُلودِ

الكِتابُ الأوَّلُ

أفراحٌ بينَ السَّماءِ والأرضِ

إلى الرَّفيقِ الأعلى الأسعَدِ

الأستاذُ الدُّكتورُ

عبدُ السَّلامِ مُقبِلٍ المُجيدي

أستاذ الدراسات القرآنية/ كلية الشريعة/ جامعة قطر

الطبعة الخامسة

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

بصائر المعرفة القرآنية

(٢٤)

السلسبيل المورود

قصة رحلة الخلود

الكتاب الأول

أفراح بين السماء والأرض

إلى الرفيق الأعلى الأسعد

الأستاذ الدكتور

عبد السلام مقبل المجيدي

السلسبيل المورود

قصة رحلة الخلود

الكتاب الأول

أفراح بين السماء والأرض إلى الرفيق الأعلى الأسعد

تأليف

الأستاذ الدكتور

عبد السلام مقبل المجيدي

مراجعة

القسم العلمي في مؤسسة بصائر المعرفة القرآنية

تصميم الكتاب

محمد عبدالحميد عبدالله الزبيدي

moh.ab.ad1071@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ويجوز نشر الكتاب بعد أخذ الإذن من المؤلف

رقم الإيداع القطري ٢٠٢٥/٢٧٦ - الترقيم الدولي: ٩٧٨٩٩٢٧١٧٨٣٣٧

الطبعة الخامسة

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم
٤٢

الإهداء

إلى كل من له فضلٌ عليَّ يتقدمهم: الوالدان الكريمان، اللهم اجعلهما بَابَيْنِ لعبدك الفقير إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وإلى شيوخي الأجلاء منار هدايتي، ثم إلى زوجي وذرِّيتي وإلى توائم روحي، وأبناء أمتي: إليكم ثمرة قلبي، وماء فؤادي.. خرجَ من حناياي يُشرق نوره بين يديَّ، وأرجو أن يستتم نوره من خلفي في دنياي وأُخراي.. أُقدِّمه راجيًا أن ينادي المنادي عليه: هذا مغتسلٌ باردٌ وشراب، وأردته لي ولأمتي والخطوب كوالح، والغواسق تغشاهم، تذكرةً لليوم الآخر، يضيء الدَّرب لكلِّ سائر، حيث لا قوة في هذا العصر ولا ناصر، إلا ما يعدُّه المرء خالصًا للودود الغافر، وما هذه الأسطر إلا خفقات قلبٍ، وومضات روحٍ، أرجو أن تكون أنيسًا لا يُمَلُّ، وجليسًا لا يترك، يذكِّر بالمستقبل الحقِّ، ويشحذ الهمَّة إلى بلوغ الدَّرجات العلى ونيل رضا الرَّفيق الأعلى، وقد أمَّلتُ من ربِّي به فضلًا، راجيًا أن أنال وسام: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وأظفر بالانضواء تحت راية: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص: ٤٦] .. وعلَّني أن أنال أعظم مما أصف، فضلًا من ربِّي ونعمة، مغفرةً ورحمة، عسى أن يكون حنانًا وزكاة، وأن يكون ربِّي بي حفيًا، وأن يجعلني عنده مرضيًا، ويزيدني فوق ذلك شيئًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه، فيرفعني مكانًا عليًا...آمين.

تقديم علامة اليمن فضيلة الشيخ/ محمد بن إسماعيل العمراني ﷾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، وعلى آله، وبعد:

فهذا كتاب "السلسبيل المورود- قصه رحلة الخلود" للشيخ الدكتور/ عبد السلام مقبل المجيدي، وهو من خيرة طلبة العلم الذين درسوا عليَّ، وكتابه هذا في علم السلوك والإقبال على الآخرة، وتشويق الناس إلى الجنة، قصد منه مُؤَلِّفُهُ إبراز منهجيةٍ جديدةٍ في الوعظ والإرشاد، وإيقاظ النائمين، وتنبيه الغافلين، و إصلاح المائلين، وإرشاد الجاهلين، وتشويق الراغبين لسلوك مدارج السالكين إلى جنات الخالدين...مقتفيًا فيه آثار من سبق من جهابذة العلماء العاملين المؤلفين في الزهديات والوعظيات أمثال الأئمة: أحمد بن حنبل، وابن أبي الدنيا، والغزالي، وابن الجوزي، وابن القيم، وابن رجب رحمهم الله أجمعين.

وقد صاغه مُؤَلِّفُهُ بأسلوبٍ أدبيٍّ، وقصصيٍّ جذَّابٍ، مع تجديدٍ في الأسلوب، وحلاوةٍ في العبارة، والتزامٍ بعزو النصوص إلى مصادرها، وتخريجها، واعتمادٍ للصحيح منها في صلب الكتاب، وللكاتب مؤلَّفاتٌ قَيِّمَةٌ سبقت هذا الكتاب منها: "تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم"، "ولا إنكار في مسائل الخلاف"، وممن قدَّم لهذا

الكتاب القيم الشيخ الدكتور/ حسن محمد الأهدل، والشيخ/ محمد الصَّادق، أسأل الله ﷻ أن ينفع به من سيطلع عليه من العلماء والمتعلمين، وأن يجزي مُؤَلِّفَه خير الجزاء، ويزيد في الشباب الفضلاء من أمثاله، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

محمد بن إسماعيل العمراني

صفر ١٤٢٥هـ

تقديم فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور/ حسن الأهدل رحمه الله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: لقد اطَّلعت على ما كتبه الأخ الدكتور/ عبد السلام مقبل المجيدي في كتابه الذي بعنوان: "قصة رحلة الخلود" أو المسمَّى "السلسبيل المورود"، وهذا الكتاب قصةٌ مشوقةٌ تحكي تصوراتٍ مخبتة عن مشاهد تتناول الحياة الأخروية مستوحاة من نصوص القرآن والسنة، صاغها الكاتب بأسلوبٍ قصصيٍّ فريدٍ يصف زفاف شابٍ إلى جنَّة الخلود.. تحدَّث فيها في البداية في مقدِّمةٍ تبعث روح المسارعة والمسابقة إلى النَّعيم لعباد الله المقرَّبين الصَّالحين في شوقٍ وحنين، ثم تطرَّق بعد ذلك إلى زفاف الأفراح بين السماء والأرض عارضًا بأسلوبه الأدبيِّ الشَّيِّق المشهد الأول بين يدي حياةٍ جديدةٍ مُتَنَاوِلًا الموت في قصَّته، ويصوِّر حُبَّ الشابِّ المؤمن لهذا الموت الذي هو موعدٌ للقاء ربه مع خيار عباد الله ﷺ من أصحاب القلوب المنيبة.

ثم يصوِّر في المشهد الثاني استقبال هذا الشاب في العالم الجديد.. عالم الحقيقة والسعادة مع أولياء الله في الملأ الأعلى.. ويستمر الكاتب-وفقه الله تعالى- في عرض المشهد الثالث في رحلة الخروج والعروج مبينًا أنَّ هذا الزفاف رحلة السعادة إلى الملأ الأعلى من العوالم الفانية إلى العوالم الباقية.. ويذكِّره نعيم الفوز

العظيم بأنيسه القرآن وبمحاريب الإيمان، وهكذا ينتقل به إلى المشهد الرابع حيث طمأنينة البرزخ وأفراحه.. وفي المشهد الخامس يذكِّر بالابتلاء في القبور، وبالأسلحة التي تنفعه هناك من الأعمال الصالحة كالإيمان وتلاوة القرآن ليُبَشَّرَ في ختام ذلك بنتيجة الفوز الكبير.. ويتنقل بين لقاءات النعيم لأرواح المؤمنين في البرزخ، وتلقي الملائكة للرُّوح الطَّاهرة، ثم يبين في المشهد الذي بعده منزلة هذه الرُّوح في العالم الجديد، فتخشع بسماع ذلك أصحاب القلوب المنيبة، ويذكر ما يكون في هول المحشر المهيب مصوِّرًا القيامة وبدء الحساب، ومكانة النبي a في مثل هذا اليوم، ورحمته بأمته في يوم المحشر، ويستمر في عرض بقية المشاهد التي يطول ذكرها في هذه العجالة مُصَوِّرًا القيامة بمختلف صورها ومشاهدها وما يلقاه أهل السعادة من الخلود الأبديِّ في الجنَّة والسرور والنعيم، وما يلقاه أهل النَّار من الحسرة والنَّدامة، وما يتمتع به أهل الجنَّة بما حصلوا عليه من وفاء العهد، ولذَّة النَّعيم وما تلقوه من رحمة الله ﷻ وكرمه، ثم ختم قصته بخاتمةٍ تجعل قارئ القصَّة بعد تذوُّقه لها يبادر إلى ملء حياته بالخيرات والأعمال الصالحات متلهفًا إلى لحظة المفارقة من الحياة الدنيا..قائلًا: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦].. وهذا الخطاب موجهًا في القصة على لسان الشاب إلى كل قارئٍ لها، حيث يقول صاحب القصة: (أيها الحبيب لي ولك لا لغيرنا كان الخطاب).

إنها رحلةٌ ممتعةٌ، وقصةٌ هادفةٌ ومفيدةٌ يعيش معها المرء لحظاتٍ وساعاتٍ وأيامًا لا يَمَلُّ سياقها وحديثها، يرتع القارئ في جنباتها، يتنعَّم بالنظر في روضاتها، يتصور تلك المشاهد والمواقف، فيبصر ويتأمل ويرجو الفوز الكبير في مواطن يتحسر على ما كسبت يداه في أيام العمر وساعة الغفلة، ولعلَّ العاقل يستفيد منها ويتوب.

ونسأل الله ﷻ لنا وللكاتب التوفيق والسداد، وجزيل الأجر والثواب، إنه على ذلك قدير، وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه أ.د حسن محمد الأهدل

تقديم فضيلة الشيخ/ محمد الصادق مغلس المراني

الحمد لله رب العالمين وصلى الله عليه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد قرأت كتاب (على مشارف الجنة)[1] للكاتب الناشئ الشيخ (الدكتور) عبد السلام مقبل المجيدي حفظه الله ﷻ، ووجدته كما سمَّاه -بحق- قِصَّةً حقيقيةً تصف زفاف مؤمنٍ إلى جنَّة الخلود.

وإذا كان بعض المنبهرين في هذا الزمان - زمان الانهزام- قد أخذوا بأساليب ومناهج الغرب في الخطاب- الغثِّ منها والسمين- فاستوردوا المسرح مثلًا، وكثيرٌ منهم لم يتحرروا من إسفافاته وضلالاته، واستقدموا فكر القصص الروائية، ومعظمهم لم يسلموا من سوءاته وافتراءاته.. فإنَّ كاتبنا في هذه القصة قد سلك مسلك التميُّز والمخالفة للمغضوب عليهم والضالين، وذلك هو الذي يقتضيه منهج ديننا في كل ما يجب وينبغي ويمكن أن نخالفهم فيه، لأنَّ الصِّراط المستقيم يقتضي مخالفة أصحاب الجحيم.

لقد اعتمد كاتبنا في قِصَّته على القرآن الكريم، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلى النصوص النبوية التي لا مدخل فيها

(١) هذه إحدى التسميات المقترحة للكتاب، وكانت أولها.

للهوى، وإنما هي وحي يوحى. وأضاف الآثار النثرية والشعرية عن السلف وعلماء التزكية، وابتعد عن المبالغات والخيالات، وعن اصطناع الوقائع واختلاق الأحداث.

ومضى مع الحقائق بأسلوبٍ أدبيٍّ جميل، وتصويرٍ فنيٍّ جذابٍ يشدُّ القارئ عند تفسيره وشرحه للنصوص، ويسهم في نقلك إلى عالم الغيب وكأنَّه صار عالم الشهادة مع إيقاظٍ للقلوب، وإثارةٍ للشجون، وترغيبٍ وترهيب، وطول نفسٍ عجيبٍ في مصاحبة صاحب القلب المنيب في تفاصيل جميع المراحل.

وقد حشد الكاتب نصوصًا كثيرةً عن الموت والبرزخ والبعث والحساب والصراط والميزان والجنَّة والنَّار والنعيم والعذاب وغير ذلك. وقلَّما تجد ذلك في كتابٍ **مع تحرِّي الدِّقَّة والصِّحَّة والجِدة في الطَّرح والتشويق**، وبذل الجهد الكبير في الجمع والسَّبك والصِّياغة. ويكاد يلمس المطَّلِع ذلك في كل صفحةٍ من صفحات الكتاب.

إنَّ مادة هذا الكتاب غذاءٌ هامٌّ وضروري للروح. وإذا كان من أعدَّه قد اجتهد في الإعداد، ولَحِقَهُ من المشقَّة ما لَحِقَهُ حتى أخرج هذه المائدة الشَّهِيَّة، فإنَّ مِنْ حَقِّه على الجائعين والمحتاجين أن يبادروا لإشباع أرواحهم وسدِّ حاجاتهم، ولاسيما الشباب الذين هم في سنِّ فورة الطموح لا يكاد يشبعهم شيء، ينتقلون من مائدة إلى مائدة، ومن تشكيل إلى تشكيل، ولن يجدوا- مع غيرهم- بغيتهم

إلا في الدار الآخرة إذا استعدوا لها، في الجنة التي هي الموطن الأول للإنسان. وسيكتشفون في نهاية المطاف أنَّ كلَّ الذي فوق التراب تراب.. وأنَّ ما هاهنا ينفذ وما عند الله باق.. وأنه لا بقاء إلا للإخلاص والعمل الصالح.. وأنَّ الدنيا وشعاراتها حتى لو خادعت باسم الدين أحيانًا كسرابٍ بقيعةٍ.. وأنَّ الجحيم هي عقبى معظم الناس؛ لأنَّهم لم يعقلوا هذه الحقائق وأمثالها.. وأنه لا نجاة إلا للقلة التي عقلت في الوقت المناسب، وأنَّه لا ملجأ من الله إلا إليه، ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات: ٥٠].

لقد أحسن كاتب القصة -جزاه الله خيرًا- في عمله الدَّعَوي الأدَبِيِّ العِلْمِيِّ، وأسأله ﷻ أن يأجره على ذلك ويضاعف مثوبته، وأن يغفر لنا ذنوبنا مع سائر أحبابنا وإخواننا، وأنْ يجعلنا من حزبه الصالحين وأنْ يحشرنا مع عباده المقربين، ويجعلنا من ورثة جنَّة النَّعيم، ويقينا عذاب الجحيم، ويسلكنا في زمرة الذين سبقت لهم الحسنى، فلا يسمعون حسيس جهنَّم، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، إنَّه - ربنا سميع قريب-.

وكتبه الفقير إلى مغفرة الله ورحمته:

محمد الصادق مغلس المراني

صنعاء في

٢٧ شعبان ١٤٢٤هـ

٢٠٠٣/١٠/٢٣م

أفراح بين السماء والأرض
إلى الرفيق الأعلى الأسعد

مُقَدِّمَة

الحمد لله على آلائه هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.. لقد جاءت رسل ربنا بالحق، ومقال الصدق، صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

اللهم صلِّ على محمدٍ صلاةً أزدلف بها إلى مغفرتك، وسَلِّم عليه تسليمًا أُحْشَرُ به في زمرة أوليائك، اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمدٍ عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة.. اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون، وعلى آله وأصحابه الكرام الطيبين، الأخيار الطاهرين.

اللهم إني أعوذ بك أن أقول بحقٍّ أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيءٍ يَشينني عندك، أعوذ بك أن تجعلني عبرةً لأحدٍ من خلقك في مقام الخزي، اجعلني ممن ابتدأته بفضلك، وأعقبته بوُدِّك ورأفتك ورحمتك.

إلهي ومولاي:

أسيرُ الخطايا عند بابِك واقفُ ◆◆◆ على وجلٍ ممَّا علمتَ وخائفُ

إلهي:

لئن ضاق عني عفوك الواسِعُ الذي ◆◆◆ أُرَجِّي لإسرافي فإني لتالِفُ[1]

(١) لأبي الوليد بن الفرضي بتصرف. انظر: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٨.

◆ هذا الكتابُ يحكي قصةً حقيقيةً.. بسم الله مجراها ومرساها:

وبعد:

فهذه قصةٌ حقيقيةٌ لم يقصَّها عليك خبر يتناقله السُمَّار في نواديهم، يلهون به، ولا نبأٌ روته الجرائد، وتناقلته وكالات الأنباء المعتادة، ولكنها خبرٌ صادقٌ نقلته إليك إذاعة النبأ العظيم الصادر عن الملك الخلاق العليم، إنَّها قصةٌ تقرأها، فتجذبك إليها جذبًا بما تحمله من إثارةٍ وتشويقٍ، وتلمح مع كل سطرٍ من أسطرها ملامح المستقبل القادم، ونهاية البداية الصادقة، نهاية الدنيا.. النهاية التي ستراها واقعةً صادقةً لا ريب فيها ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ [الذاريات: ٥].

إنَّها قصة شابٍ كان شاكرًا ذاكرًا طائعًا أوَّابًا قانتًا مخلصًا توابًا، قد جعله ربِّي من المصطفين الأخيار، من المخلِصين المخلَصين الأبرار، قمتُ بتتبع سيرته، والتقاط أنفاسه، وتدوين قصته كما رسمها القرآن الكريم، حيث يتمُّ زفافه إلى عالم الخلود، في فردوس العزيز المجيد، فتأمل معي قصَّته على الحقيقة، وارجع بها إلى دنياك.. ارجع بها إلى دنياك لتنظرَ: أأنت حقًّا على سويِّ الطريقة؟

رفيقَ الدرب حُثَّ السيرَ هَيَّا ◆◆◆ نسيرُ إلى العُلا نمضي سويّا

نَهيمُ برحلةٍ للخلدِ فيها ◆◆◆ مقامٌ للألى شدوا المطيّا

هناك لذائذٌ فاقت جمالًا ◆◆◆ هناك الحسن معطارًا نديّا

هنـــاك بجانب المختـــار يحلو ◆◆◆ لنـــا الإينـــاسُ نقطفه شـــهيّا

مع الصحـــبِ الكـــرامِ نَهيمُ ودّا ◆◆◆ ونُغمَـــرُ بالرضا غَمـــرا حفيّا

◆ أي حبيباه:

نَقَلْتُ إليك أحداث هذه القصة، ومشاهدها العامة والتفصيلية من كتاب الله -عزَّ جاره- ومن سنَّة النبي ﷺ، وهو الذي ارتفع مقداره ﷺ، وأسميتها بالقصة متبعًا فيها قول مولاي الودود -وقوله الصدق-: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢] .. وكتابك هذا يشبه أن يكون توسيعًا لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه في العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ على الآخرة[1].

هذه قصـــةٌ تلاها كتاب اللـــه ◆◆◆ وحـــيًا يُبَاشِـــرُ الأرواحـــا

تســـتثير النفـــوس نحـــو رحيلٍ ◆◆◆ لبـــلادٍ تمحضـــت أفراحا[2]

◆ أيا خاطب الجنة:

ترى في تضاعيف هذه القصة وصفًا رائقًا لزفاف مؤمنٍ مخبتٍ قانتٍ إلى جنَّة الله عز وجل التي أُشرِعت لها ميادين السباق، وبُذلت في سبيلها الأعناق.. إنَّ تذكُّر النِّعيم

(١) وهو حديث عظيم مشهور رواه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١٠٧) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، والبيهقي في الشعب (٣٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٨).

(٢) للشاعر المبدع: عبد الرحمن العديني.

الـذي يلقـاه المؤمـن تُنسَـى معـه الأحـزان، ويسـتيقظ معـه الغافـل فـي الدنيـا بالدنيـا، ويفيـق الوسـنان، أفنطمـع فـي كريـم صحبتـك إليـه حيـث جنَّـة مـن اللـه ورضـوان؟

◆ أيا حبيباه:

فـهلَّا أخـذت اسـتعدادك معنـا لتكـون فـي اليـوم الحـق مـن الفائزيـن؟ هلَّا قلَّلـت مـن الانشـغال بلهـو اللاهيـن، اسْـمَعْ إلـى وَعْـدِ ربِّ العالميـن، وحبيـب المشـتاقين ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [القصـص: ٦١].

وعندها يحق لنا أن نتساءل ببراءة:

هل أقضَّ مضاجعَ النَّائمين ذِكْرُ ربِّ العالمين لجنَّةٍ عرضها السَّمَوَات والأرضين؟!

وهل يستطيع أنْ يحيط علمًا بها وَصْفُ الواصفين؟!

أم هل تستطيع الكلماتُ أنْ تكشف عما حوته من نعيمها المكنون؟!

بـل النـاس عنهـا سـامدون.. والقَعَـدَة فـي غفلـةٍ لاهـون.. والخوالـف مـا يأتيهـم مـن ذكـر مـن ربهـم محـدث إلا اسـتمعوه وهـم يلعبـون.. لاهيـةً قلوبهـم..

هل أقضَّ المنـــامَ ذِكْـــرٌ عَلِيٌّ ◆◆◆ لنعيـــمٍ مُـــزَيَّنٍ بالخُـلودِ؟

سَـــائِلِ الرُّوحَ هَـــل تذكّر عهدً ◆◆◆ يا رعى الله من وفـــى بالعهودِ

أو مـــا زال في الفـــؤاد لهيبٌ ◆◆◆ مِنْ حنينٍ لِنيلِ سَـــعْدِ السُّعودِ

لِجنـــانٍ بها المـــكارمُ تَتْرَى ••• وهنـــاءٍ وكُلِّ عَيْـــشٍ رَغِيدِ

ولِأُنـــسٍ برؤية اللهِ يُنسِـــي ••• سَـــالِفَ الهَمِّ في الزَّمَان البعيدِ[1]

◆ أجل أخي:

قم معي لنحيا في خلود.. هاتفًا راقيًا في صعود.. هانئًا ناظرًا للمزيد.

فبسم الله مجراها ومرساها..

◆ أيها المشتاق لنعيمٍ تتطاول له الأعناق، وتذوب لنيله الأحداق:

سـابِقْ فـي تدبُّـر الآيـات المشـرقات، انظـر فـي هاتيـك البينـات العظيمـات، فـي وصـف الجنـان الوارفـات.. ألا ينتفـض قلبـك شـوقًا، ويجتاحـك الحنيـن أرقًـا وقلقًـا فتتسـاءل بلهفةٍ: متـى سـيصل الفـؤاد العليـل لذلـك المقيـل.. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقـان: ٢٤]..

بـل املأ عينيـك بنـور الحقائـق، وقُـل لسـائر الخلائـق، مـا قالـه التائـب المنيـب السـابق لأمِّـه قديمًـا، اسـتمع منـه قـولًا حكيمًـا "يـا أمَّـاه إنَّ لـي موقفًـا طـويلًا بيـن يـدي ربٍّ جليـل، فلا أدري أيؤمـر بـي إلـى ظـلٍّ ظليـل، أو إلـى شـرٍّ مقيـل، إنـي أخـاف عنـاء لا راحـة بعـده أبـدًا، وتوبيخًـا لا عفـو معـه[2].. فيـا رب هيـئ لنـا مـن أمرنـا رشـدًا، واجعـل معونتـك العظمـى لنـا سـندًا.

(١) الأبيات عدا الأول لفضيلة أ.د/ سعيد بن دحباج -وفقه الله-.

(٢) التبصرة لابن الجوزي، ص ٢٩.

إنَّه النَّعيم الحقُّ... قطع الله ﷻ تخمينات الظانين حين أرادوا وصفه، ومنع تخرص المتخرِّصين حين راموا كشف ستر لذائذه، فقال -عزَّ جاره-: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

حسبك أَنْ ترى حقيقةً واحدةً، وقانونًا عامًا يوضح تواضع من ظنَّ أنه يمكنه تصوُّرُ ما سيلقاه المؤمن من تكريمٍ. فقد قرَّر الحديث الشريف أنه «**لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءَ**»(١).

◆ **انظر عباد الله المقرَّبين.. يتسابقون إلى معرفة ذاك النَّعيم.. بشوقٍ وحنين:**

هاهو ذا موسى عليه السلام يسأل ربَّه ﷻ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ! كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ..

تصور ذلك!

كل ما حوت الدنيا من لذائذ وأراضٍ وأنهارٍ ومتاع.. تكون لأدنى أهل الجنة منزلة.. يجد فيها البساتين والقصور والقلاع، انظر إلى الرَّجل: إنَّه لا يصدِّق نفسه، فيقول: رب رضيت. يقاطع الحديث لشدة فرحه.. فيقول الله ﷻ له: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، قال الرجل في الخامسة -مقاطعًا ولا يملك نفسه من السعادة

(١) الضياء في المختارة ١٠/ ١٦موقوفًا على ابن عباس وهو في حكم المرفوع، ولذا أورده السيوطي في الجامع الصغير على أنه مرفوع، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٣١٦: رواه البيهقي موقوفًا بإسنادٍ جيد، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٨٨).

والسرور: «رضيت، ربِّ! فيقول: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ. وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ!».. تلعثم لسانه فلا يستطيع أن يقول كلمةً غيرها فرحًا وسرورًا، غبطةً وحبورًا.

وسأل موسى عليه السلام عما يلقاه أعلاهم منزلة فقال: ربِّ! فأعلاهم منزلة؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا. فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ..قال: ومصداقه من كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧][1].

القلبُ مُحْتَرِقٌ، والدَّمْعُ مُسْتَبِقٌ ... والكربُ مُجْتَمِعٌ، والصَّبْرُ مُفْتَرِقُ

كيف القرارُ على مَنْ لا قَرَارَ له ... مما جَنَاهُ الهوى والشَّوقُ والقَلَقُ

إنَّه النَّعيم القادم في الآخرة لا يساوي مدينةً، أو دولةً، أو أرضًا.. الدنيا كلها لا تساوي عنده جناح بعوضة. فهلا أبديت همَّتك له، وأصابك من حبِّ النَّعيم الحقيقي الشوق والوَلَه، فصرت في الدنيا كالغريب تنتظر الوصول إلى دار كرامة الحبيب.

كان عطاء السَّلِيمي يقول في دعائه: «اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم في القبر وحشتي، وارحم موقفي غدًا بين يديك»[2]. فيا رب اجعلني من أحب عبادك إليك.

(١) مسلم (١٨٩).

(٢) جامع العلوم والحكم ٣٧٩/٢.

◆ منهج كتابة هذه السلسلة المباركة:

لقد سلكتُ في رواية هذه القصة منهجًا فريدًا مزجتُ فيه بين الأحداث التي رسمتها هذه المشاهد القرآنية لتكون لونًا من ألوان التفسير الموضوعي الذي امتزج بالتصوير الفني[1]. وهذا منهجٌ رائد لم أرَ من سلكه بهذه الصُّورة المقدَّمة في هذا الكتاب، اللهمَّ تقبَّله.

ومنهجٌ هذا حاله يحتاج إلى أن يُثرى بكتاباتٍ تقوِّي أركانه، وتدعم بنيانه، وتجمل تبيانه، وأرجو الله -عزَّ جاره- أن يجعل كتابي هذا جوادًا سابقًا في هذا المضمار، تطلب النَّسج على منواله قادة الأخيار.

وغَلَّبْتُ في هذه السلسلة اللغة الموحية الملهمة؛ إذ القصد تهييج القلوب واستفزازها، واستنهاض النفوس وإزعاجها.. عسى أن تتخذ قرار السعادة بأن تترك الإخلاد إلى أرض الموات، وتتحمل في طلب المعالي كل التبعات، وتطرح دنيء المكاسب والسفاسف، وتفوز بأعلى المراتب بخضر الرفارف.. هناك النَّعيم المقيم، والمقام الكريم.

◆ أيها الحبيب: ماذا تنتظر؟

إن عزمت فبادر، وإن هممت فثابر، واعلم أنه لا يدرك المفاخر، من كان في الصف الآخر.

---

(١) وأرجو أن أفتح في ذلك آفاقًا لمنهجيةٍ جديدةٍ في التفسير الموضوعي.. تقريبًا للغة القرآن، واستمتاعًا بها حيث تضاءل الإحساس بما تحويه من معانٍ ومشاهد.. وهو ما أكثر الشكوى منه سيد قطب في كتبه: مقومات التصور الإسلامي، وخصائص التصور الإسلامي، والظلال وغيرها.. ومن قبله حمل الهم مصطفى صادق الرافعي، وتلميذه النابغة محمود شاكر.. رحم الله الجميع.

◆ أيها الحبيب:

سِلَع المجد كاسدة، وكأن قد غَلَت، ومراعي الفضل قريبة، وكأن قد عَلَتْ، وكأنك بحجابات الغفلات قد انجلت، فأصبحت حلاوة البطالة من أفواه الغافلين قد رحلت، وأصبحت رايات السابقين المنافسين قد حلت:

لا تَحْسَبِ المَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكلهُ ◆◆◆ لَنْ تَبْلُغَ المجد حَتَّى تلعَق الصَّبِرَ

فاصبر للبلايا، فوقتها يسير، واثبت للمصائب والرزايا فأجرُها كثير:

لا تَجْزَعَنَّ مِنَ المنايا إذا أَتَت ◆◆◆ واصبر لِمَا تأتي به الأقدارُ

وغدا الصَّبُورُ يجُرُّ ذَيلَ سُرورِ ◆◆◆ في جنَّةٍ من تحتها الأنهارُ

فكأن قَدِ انكشفت غياياتُ البَلا ◆◆◆ وانجابت الآفاتُ والأكدارُ

إِنِّي رأيتُ معاشرًا لم يفهمو ◆◆◆ معنى الوجودِ فأصبحوا قد حاروا[1]

◆ أيا حبيباه:

ابتعدتُ في هذا الكتاب عن الأسلوب العلمي الجاف بنمطه القاصر.. راغبًا في الخطاب العاطفي العامر... ألا ترى معي أنَّه أسلوبٌ يُمْتِعُ الناظر، ويُهَيِّجُ الخاطر، وهو يرى المستقبل المجيد الزاهر في جنة الله تعالى يوم لا تنفع قوة ولا ناصر، إلا من رحمه الرحيم العفو الغافر.

(١) بتصرفٍ من كلام ثمين لابن الجوزي الأمين رحمه الله.

◆ أيا حبيب الجنَّة:

هـذا الكتـاب لنفسـيَ كتبتُـه، ولإخوتـي زفتـه، ولأخواتـي نظمتـه.. كتبتُـه ليكـون تذكـرةً لأعـزِّ أخلَّائـي البـررة ممـن تعاقـدتْ معهـم روحـي لاقتحـام العقبـة، عسـى أن نكـون فـي سـلك الفئـة المطهَّـرة، طالبيـن الفـوز بالدرجـات العلـى، رحمـةً مـن اللـه وحنانًـا وزكاة، ورغبـة فـي الشـرف فـي الآخـرة، وقـد طبـع تحـت عنـوان **(السلسـبيل المـورود فـي قصـة رحلـة الخلود-قصـة حقيقيـة تصـف زفـاف شـاب إلـى الجنـة)**، و"على مشـارف الجنـة"، واقتـرح بعـض الأحبـة تسـميته: "نزهـة المشـتاقين فـي زفـاف المؤمـن إلـى جنـان الخالديـن" ونافـت صفحاتـه علـى (٣٦٠ صفحـة)، فرأيـت أن أعيـد طباعتـه فـي كتـب أربعـة ضمـن سلسـلة أسـميتها: (سلسـلة قصـة رحلـة الخلـود)، واتخـذت هـذه العناويـن:

١) أفراح بين السـمـاء والأرض "إلى الرفيق الأعلى الأسعد".

٢) إنها الساعة تلقي السعادة والإكرام الأعظم.

٣) على مشارف الجنة واهًا لريح الجنة.

٤) الجنة: الملك الكبير بعد الوصول المثير.

عسـى ربـي -عـزَّ جـاره- أن يرفعنـي بمـا أكتـب درجـاتٍ فـي الدنيـا والآخـرة، ويجعلـه خالصًـا لوجهـه الكريـم، ويثيبنـي بـه أعظـم الفـوز والمغفـرة.

كتبه/ عبد السلام مقبل المجيدي

s1435y@gmail.com

وكان الفراغ من إعداده للطبعة الأولى: الثلاثاء ٣ من رَجَب الفرد ١٤٢٤ من هجرة من له العز والشرف والجلال ﷺ، الموافق ٢ سبتمبر ٢٠٠٣م.

وكان الفراغ من إعداده للطبعة الخامسة ١٥ جُمَادَى الآخِرَة ١٤٤٥هـ، الموافق ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٣م.

أفراح بين السماء والأرض
إلى الرفيق الأعلى الأسعد

المشهد الأول

الخطوات المجيدة.. بين يدي حياةٍ جديدة

بداية العرس والزفاف..

◆ **تعالوا إلى بهجته من ثقالٍ أو خِفاف، هنا الطُهر والجمال ولآلئ الأصداف:**

إنه شابٌّ رائعٌ إذا عرفتَه صار في قلبك له معزةُ الأحباب.. ترى إشراق النُّور في وجهه؛ فهو دائم الذكر لربِّه الوهَّاب، الرَّحيم التَّواب، ولنرمز إلى اسمه بهذا الاسم الرائع: عبد الله.. تيمنًا بأحب الأسماء إلى الله مولانا ومولاه، وهذا الاسم هو أجمل الأسماء في عرف كل عبدٍ منيبٍ حليمٍ أواه، ولنبدأ في ذكر قصته، طالبين الله ﷻ، راغبين في لطفه ومغفرته ورحمته وحبه وحِماه:

كان ممن كُتِبَتْ له السعادة، وسَبَقَتْ له من ربه الحسنى وزيادة.. هاهو ذا تراه في دنياه ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، خاضعًا لمولاه، ذليلًا بين يديه.. يبتغي بذلك الشَرَف، ويروم أن يكون من سكان الغُرَف:

ذُلُّ الفتى في الحبِّ مَكْرُمةٌ ... وخضوعه لحبيبه شَرَفُ[1]

(١) البيت ليوسف بن الحسين. مجموع رسائل ابن رجب ١٢٣/٣.

وهو في الوقت ذاته هينٌ ليِّنٌ، ليس في قلبه غِلٌّ للذين آمنوا قد أخذ بحظه من بشارة الحبيب ﷺ حين قال:

«حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ»[1].

يراه بعض صحبه، فيرى نور الإيمان في وجهه، ويراه آخرون فينادونه في سرِّهم: أيُّها المخبت المنيب.. أيُّها الأوَّاب الحفيظ.. يا صاحب المؤمنين الصالحين الصادقين: إنَّا نراك من المحسنين.. ينادونه بذلك لما اعتادوه من مراقبته لله ﷻ، وحفظه لحدوده، وكثرة ذكره لليوم الفزع الأكبر المبين، أدَّى أمانة الوظيفة، واتسم بالأخلاق الرائعة الشريفة، مضى في دنياه على ذلك، ومضت دنياه بذلك..

عَذبٌ يَزينُ بأحسنِ الأخلاقِ ... نورٌ يشابهُ طلعةَ الإشراقِ
في وجههِ سيما العبادةِ والتُّقى ... مُتضرعٌ للواحدِ الخلاّقِ
وله من الليل الطَّويل تهجدٌ ... باكٍ بدمعٍ هاطلٍ رقراقِ
وعلى كتابِ الله أوقفَ عمرَ ... بنقاءِ قلبٍ رَقَّ مِن إشفاقِ
أخلاقُه نسماتُ أسحارٍ لها ... أزكى الشَّميم تميلُ كالأعذاقِ
بَرٌّ عَطوفٌ والحنانُ يزينُه ... أحبابُه في داخلِ الأحداقِ
وله رِفاقٌ يَعْبَقُون برَوحهم ... وهو المزيّن ذِكرهم والسَّاقي

(١) أحمد، (٣٩٣٨). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

سـيفٌ على الأعداءِ جنَّد نفسَهُ ◆◆◆ كلوائـحٍ ظهَرت مـن الإبراقِ

ومحافـظٌ أبـدًا على أنفاسـهِ ◆◆◆ فحياتُـه فـي صولةٍ وسـباقِ

سـاعٍ إلى الخيراتِ فـاحَ عبيرُ ◆◆◆ شَـهمٌ نبيـلٌ طيـبُ الأعراق

داعٍ إلى الإصلاحِ يبـذل جهدَه ◆◆◆ في حلِّ كلِّ مشـاكلٍ وشقاقِ

فـي بذلهِ يبـدو كطلعـةِ حاتمٍ ◆◆◆ ما خافَ يومًـا هجمةَ الإملاقِ

لا غِلَّ يحمـلُ، ينبـذُ الأحقادَ ◆◆◆ ما عرَف التَّحذلُق، نابذًا لنفاقِ

انظـر.. تأمَّـل هـذهِ أخلاقُه ◆◆◆ للـهِ درُّ مـكارمُ الأخلاقِ[1]

وداع على غير موعد:

◆ **هاهـي ذي صفحـات أيامـه تُطْـوى.. وسـاعاته تُقْضَـى..** وجاءتـه الحقيقـة التـي لطالمـا تعامـل معهـا غيـرُه علـى أنَّهـا مجـرَّد وهْـمٍ يُـروى، وفـي لحظـةٍ مفاجئـةٍ للمحبيـن: فـي ريعـان شـبابه.. يجيئـه الأجـل، وينـزل بـه القضـاء.. انقضـت تلـك السـنون، وانصرمـت معهـا أحلام العمـر.. الأمـر كمـا قـال الحسـن البصـري رحمه الله:

«لـم يـزل الليـل والنهـار سـريعين فـي نقـص الأعمـار، وتقريـب الآجـال.. هيهـات قـد صحبـا نوحًـا وعـادًا وثمـودًا وقرونًـا بيـن ذلك كثيـرًا، فأصبحـوا قـد أُقْدِمـوا علـى ربهـم، ووردوا علـى أعمالهـم»[2].

(١) لفضيلة الشيخ د/ عامر الخميسي -وفقه الله-.

(٢) جامع العلوم والحكم ٣٨٣/٢.

وما أجلَّ موعظة الحكماء حينما قالوا:

«كما أن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما»[١].

وتاللـه إنَّ صاحِبَنـا قـد اسـتفرغ جهـده، وأعـدَّ زاده، فلطالمـا أزعجـه ذِكْـرُ هـذه السـاعة فانتصـب بيـن يـدي مـولاه يسـأله حسـن الختـام، وكريـم المقـام.

نجري بميدانِ الحيـــاةِ مع الرَّدى ◆◆◆ فَرَسَـــيْ رِهانٍ أُسْـــرِجا لسباقِ

الـــكلُّ يذهبُ غير وجـــه مليكنا ◆◆◆ والكلُّ يفنـــى والمهيمن باقي

لا تُشـــفقنَّ على ســـواك إذا نُعي ◆◆◆ فلأنـــتَ أنتَ أحقّ بالإشـــفاقِ

إن كنتَ باكٍ فابْكِ نفســـك وانْعَهَا ◆◆◆ رحل الصحـــابُ وأنتَ رهنُ لحاقِ

واكرعْ لـــذاذاتِ الحياة فليسَ مِنْ ◆◆◆ كأسِ المنيَّـــةِ حافـــظٌ أو واقي

واهنأْ بســـاعات الوصـــال فإنما ◆◆◆ عهـــدُ الوصـــالِ مآلـــه لفراقِ

لا فرقَ في حكـــم القضاء إذا أتى ◆◆◆ بين الغني وبيـــن ذي إملاقِ[٢]

لـم يعلـم ميعـاد موتـه، وأنَّـى لـه أو لغيـره أنْ يعلـم ذلـك ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمـان: ٣٤].. لكنـه أعـدَّ لهـذا الميعـاد عُدَّتـه.

(١) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا، ص ٢٩.

(٢) الأبيات للدكتورسعيد بن دحباج -وفقه الله-.

انظر إليه الآن..

إنه على سرير الموت: هو في سكرات الموت، والناس حوله.. بين باكٍ وشاكٍ، وحزينٍ قلق، ومحبٍ مشفق.. بعضهم يكاد يُغَصُّ بريقه من الألم، وبعضهم يضع يده على جبهته من الدهشة، وأهله يبكون.. يبكون حقًّا ويكتمون أصوات بكائهم بأيديهم، ويغالبون دموعهم بطأطأة وجوههم إلى الأرض، وفجأةً!.. قطع المشهدَ صياحُ بعضِ محبيه.. لقد صاح صياحًا مصحوبًا بيأسٍ ظاهر: ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾ [القيامة: ٢٧] فيرقيه؟ هل من طبيبٍ فيشفيه؟ هل من خبيرٍ حكيمٍ يدافع عنه ويحميه؟ ولكن الأمر واضح، فإن صاحبنا ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩].. فكيف يمكن لراقٍ أن يرقيه؟ وأنَّى لطبيبٍ أن يشفيه؟

فكلُّ امرئٍ لاقٍ من الموت سكرةً ••• له ساعةٌ فيها يذل ويضرعُ[1]

إنه الموت! «قصم الله ﷻ به رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصَّر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة»[2].. إنَّه الموت يهجم عليه!..يتغشاه..

يا لِفَزَعِ المحبين فدموعهم في الآماق..إذا دنت لحظات الفراق ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾ [القيامة: ٢٧]!

(١) قصر الأمل، لابن أبي الدنيا، ص: ١٢٤.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٤/ ٤٤٨.

يـا هنيئًـا لمـن أسـعفه حظـه مـن التسـبيح بالعشـي والإشـراق!

فسُـرَّ وجهـه واسـتناريـوم الـتلاق، وفـرح يـوم فـي سـاعةٍ يقـال

فيها (مَنْ رَاقِ).

طوبى لِمن سَـــهِرَتْ بالليل عيناهُ ... وبات في قَلَـــقٍ مِن حُبِّ مولاهُ

وقـــام يرعى نجومَ الليـــل منفردًا ... شـــوقًا إليه وعين اللـــه ترعاه[1]

أبشـر يـا مـن راقبـت الملـك الجليـل الـخلاق.. وأُكرمـت بالطاعـة

وتحـرِّي الـحلال وأكـرم الأرزاق.. إنَّـه يـوم عيـدك: يـوم يقـال

(مَنْ رَاقِ).

◆ ولكنَّه الموت أيضًا:

قَـرَّبَ اللـه بـه منـزلة الأتقيـاء، وحقـق بـه وعـوده لأهلـه مـن الأصفيـاء، وجعلـه مخلصـا للأنقيـاء، وموعـدًا فـي حقهـم لألـذ لقـاء، وأراحهـم بـه مـن دنيـا العنـاء.. رضـي اللـه عـن عمـار؛ اسـمعه يهتـف وهـو يـرى بـوارق المـوت لائحـة.. اسـمعه فعطـور هتافـه فائحـة: غـدًا ألقـى الأحبـة محمـدًا وحزبـه[2]، إنـه يتذكـر جمـال الصحبـة، ودفـء المـودة الصادقـة والقربـة.

(١) بحر الدموع، ص: ١٤.

(٢) الطبرانـي فـي الأوسـط (٦٤٧١)، وخرجـه الهيثمـي فـي مجمـع الزوائـد ٩/ ٢٩٨، وقـال: «رواه الطبرانـي، وإسـناده حسـن»، وقـد روي عـن بلال، ومثلـه قـال ابـن عبـاس لعائشـة فـي مـرض موتهـا: (مـا بينـك وبيـن أن تلقـى الأحبـة إلا أن يفـارق الـروح الجسـد..) كمـا عنـد أحمـد (١٩٠٥).

في هذه الأثناء.. هرع إليه بعض خلصائه مطمئنًا مخففًا، آملًا مددًا في عمر، وعافيةً في بدن.. ولكن هيهات فقد ردَّ عليه المخبت المنيب بصوتٍ خفيضٍ يعتريه الوهن:

دعنا من هذا.. فإن كل شيءٍ عند ربي بمقدار!.. ثم أومأ ببصره نحو السماء يقول بصوت متحشرج:

إلهي أنا الذي أمرتني فَقَصَّرْتُ.. ونهيتني فعصيتُ

إلهي أنا الذي أمرتني فَقَصَّرْتُ.. ونهيتني فعصيتُ

(اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك.. فما وراءك مذهب).

وحانت منه سكتةٌ ظهر عليه فيها التعب، لكنه ما لبث حتى تابع لهاثه، وابتهالاته نحو ربه، يُكَرِّرُ الدعاء، ويُعيد النداء، ولم لا.. لم لا وهو في موقف الرجاء.. قال فيما قال آنذاك وصوته يستقيم تارةً، ويتقطع أخرى:

ولكنك الآن رجائي يا أرحم الراحمين.. اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك.. اللهم إن كان صغر في جنب عطائك عملي، فقد كبر في حسن رجائك أملي..

لقد كان يخرج الكلمات متقطعة تتقطع لها قلوب محبيه المحيطين به في حدب وولهٍ.. تنساب من بين شفتيه كوخزات في أكبادهم الحزينة.. همسات تستدر الدموع، وتلهب القلب الهلوع، والفؤاد الموجوع..

◆ **ثم عاد حبيبنا الشاب الأواب المنيب مناجيًا ربه القريب المجيب:**

إلهي.. مولاي.. آن الرحيل إليك، وأزف القدوم عليك، ولا عذر لي بين يديك.. لا عذر لي إلا طلب رحمتك التي وسعت كل شيء.. إلهي أنت الرحيم الغفور، وأنا العاصي المستجير.. إلهي أنت العفو الرحمن الودود، وأنا الجاني الكنود الجَحُود..

مولاي أنت السيد الملك الجبار، وأنا العبد المعترف بالعجز والافتقار.. ارحم خضوعي وذلتي بين يديك.. ولا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين.

ثم تتالت دموعٌ غزارٌ عِذابٌ من مقلتيه.. تسيل على خديه.. لتزيد مَنْ حواليه ألـا وحزنًا وبكاءً.

يا إلهي أنا الذي قد عصيتُ ◆◆◆ وإلى الوِزْرِ يا إلهي انتهيتُ

غَرَّني سِتْرك الجميلُ ونفسي ◆◆◆ فاكتسبتُ الذنوب وَيْحِي اكتسبتُ

غير أني حملتُ قلبًا محبًّا ◆◆◆ لك ربي، وإنني ما يئستُ

فأقلْ عثرتي وحقق رجائي ◆◆◆ ربِّ إني من كل ذنبيَ تبتُ[1]

قال له صاحبه: فلأي شيءٍ هذا البكاء وأنت في موقف الرجاء؟

قال -وقد رجعت إليه بعض قوته واستقام صوته-:

يا أُنسَ الدنيا: هو للرجاء.. ألا ترى أني أنتظر من الله رسولًا يبشرني بالجنة أو

(١) لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني.

بالنـار!..

(وكيـف لا أبكـي.. وقـد ركبـتُ مـا نهانـي عنـه، وتركـت مـا أمرنـي بـه..آه.. هاهـي الدنيا ذهبـت فـي الحـال!.. وبَقِيَـت الأعمـال.. بقيـت الأعمـال قلائـد فـي أعنـاق الرجال)

لقـد عملـتُ لموقفـي هـذا عشـرين سـنةً.. وهاهـو ذا البـاب سـيفتح لـي الآن إمـا بالسـعادة أو بالشـقاوة.. وإنمـا أنتظـر وفـدًا مـن ربٍّ كريـمٍ رحيـمٍ.. يجيـب الدعـاء ولا يخيـب الرجـاء..

◆ يا لجمال كلماته!

كأنه يردد ما باح به الشافعي رحمه الله عند مرض موته رحمه الله تعالى من قوله:

أجدنـي مـن الدنيـا راحلًا، وللإخـوان مفارقًـا، وبـكأس المنيـة شـاربًا، وعلـى ربـي جـل وعـز واردًا، فلا أدري تصيـر روحـي إلـى الجنـة فأهنيهـا أم إلـى النـار فأعزيهـا؟! وأنشـد يقـول:

وَلَمَّا قَسَـا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُـلَّمًا

تَعَاظَمَنِـي ذَنْبِي فَلَمَّـا عَدَلْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِـيِّ كَانَ عَفْوكَ أَعْظَمَا

فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَـنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَل ... تَجُـودُ وَتَعْفُو مِنَّـةً وتكَرُّمَا[1]

إنه مصير العالمين!..

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾[الأنعام: ٦٢].

(١) سير أعلام النبلاء ٧٦/١٠، وقال الذهبي: إسناده ثابت عنه.

نظر إليه بعض أصحابه نظرة حبٍ ووَلَهٍ وهيام، وذهب فكره بعيدًا سابحًا فيما يراه أمامه وتذكر حياة هذا العبد المنيب بين الأنام:

هذا الحبيب المنيب المُسَجَّى على فراشه.. طالما تمتمت شفتاه بذكر الموت استعدادًا له.. كم كان يلهج أمامنا عندما تشتد منازعات الجدال، ويطغى كلٌّ منا على صاحبه بما يملك من أقوال.. كان يقطع ذلك كله بقوله: نسأل الله ﷻ لنا حسن الختام والأعمال..

◆ وتابَعَ صاحبُه تفكيرَه:

لم أعلم إلا الآن.. أنَّه بكثرة تذكره للموت كان يتشرف بالانضمام بذلك إلى زمرة الأكياس الذين وصفهم النبي ﷺ لما سئل: **من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟** فقال:

> **«أكثرهم ذكرًا للموت، وأشدهم استعدادًا له.. أولئك هم الأكياس.. ذهبوا بشرف الدنيا.. وكرامة الآخرة»**[(١)].

لَكَم كان يُذَكِّرُنا في ذلك بقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لصاحبٍ له: «**أكثر ذكر الموت، فإن كنتَ واسع العيش ضَيَّقه عليك، وإن كنت ضيق العيش وسَّعَه عليك**»[(٢)].

(١) الطبراني في الأوسط (٦٤٨٨)، وقال العراقي في المغني ٤/ ٤٥١: «أخرجه ابن ماجه مختصرا وابن أبي الدنيا بكماله بإسناد جيد».

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ٤٥١.

وانسابت دمعتان ذهبيتان من مآقي صاحبه وهو ينظر إليه بإكبار، وألمٍ على الشعور بأنَّه سيفارقه عما قريبٍ، ولكنه تابع تفكيره وقد حانت منه ابتسامةٌ مفاجئة:

لَكَم كان يُرَدِّدُ على مسامعنا أثرًا واردًا على لسان الحبيب المصطفى والشفيع المرتجى ﷺ، أثرًا أخذ عليه مجامع نفسه، وإنَّ الكلمة الطيبة لحقيقةٌ أن تأخذ النفس، وتأسرها:

«والذي نَفْسي بيدِه ما طرَفتْ عيناي إلا ظَنَنْتُ أنَّ شَفْرَيَّ لا يَلْتَقيان حتَّى يَقْبِضَ الله روحي، ولا رَفَعْتُ قَدْحًا إلى فِيَّ فظَنَنْت أنِّي لا أضَعُه حتّى أُقْبَضَ، ولا لَقَمْتُ لُقْمةً إلا ظننْتُ أنِّي لا أسيغُها حتى أغُصَّ بِها مِنَ المَوْتِ، يا بَني آدمَ! إنْ كُنْتُم تَعْقِلونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكُم مِنَ المَوْتَى، والذي نفْسي بيده ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام: ١٣٤]»[1].

(١) الطبراني في مسند الشاميين (١٥٠٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩١/٦، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٨٠)، وضعَّف العراقي إسناده. ينظر: إحياء علوم الدين وبهامشه المغني للعراقي ٢٤٨٢/٦.

موعد الصفاء مع أحب لقاء:

دعـا مـن تفكيـر صاحبـه وبكائـه المختلـط بابتسـامةٍ عجيبـة، ولنعـد للنظـر إلـى صاحبنـا المنيـب.. كمـا نحسـبه واللـه حسـيبه.. إنـه الشـاب الرائـع القانـت العجيـب:

فقد أحب لقاء الله فلا ريب أن الله يحب لقاءه..

ذكـر عنـه بعـض الجالسـين مـن الشـباب الصالحيـن أنـه ربمـا مـرت عليـه فـي حياتـه أوقـاتٌ كـره فيهـا المـوت..لا لشـيء، إلا خيفـةً مـن أن يختطفـه قبـل تمـام التوبـة، وقبـل إصلاح الـزاد وهـو معـذورٌ فـي كراهـة المـوت هنـا، ولا يدخـل هـذا تحـت قولـه ﷺ:

«من كره لقاء الله كره الله لقاءه»[1]..

ـإنَّ هـذا لا يكـره المـوت ولقـاء اللـه، وإنمـا يخـاف فـوت لقـاء اللـه لقصـوره وتقصيـره وهـو كالـذي يتأخـر عـن لقـاء الحبيـب مشـتغلًا بالاسـتعداد للقائـه علـى وجـهٍ يرضـاه فلا يعـد كارهًـا للقائـه، وعلامـة هـذا أن يكـون دائـم الاسـتعداد لـه، وإلا التحـق بالمنهمـك فـي الدنيـا، وأمـا العـارف بربِّـه فإنـه يذكـر المـوت دائمًـا لأنَّـه موعـد لقائـه بحبيبـه.. حبيبـه الـذي حـرص فـي حياتـه علـى ألا يخلـف لـه ميعـادًا.. فمـا أشـدَّ لهفتـه وحرصـه علـى إدراك تكبيـرة الإحـرام؛ لأنـه موعـد اللقـاء.. مـع الكبيـر الجليـل الـودود ذي العليـاء.

(١) البخاري (٦٥٠٨)، ومسلم (٢٦٨٣).

◆ والمحب.. المحبُّ لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب..

أعجبت هذه الجملة بعض الحاضرين فرددها: والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب.. بل يحفظه ويحمله في أعماق قلبه.. يترقبه.. يهيم به.. ينتظره بشغف ولهفة.. وحينما يحين الوقت يترنم بأغنية الحبِّ الأبدية التي لا يخبو نورها، ولا ينقطع صداها.

أكمل أحدهم الحديث -بينما صاحبنا المنيب في غشيته-:

«نعم المحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، ولهذا قد يستبطئ مجيء الموت، وقد يحبُّ مجيئه ليتخلص من دار العاصين، وموطن البلاء المبين، ولينتقل إلى جوار رب العالمين، ويتفيأ فردوس الخالدين.. كما روى عن حذيفة رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال:

«حبيبٌ جاء على فاقةٍ.. حبيبٌ جاء على فاقةٍ.. لا أفلح من ندم..»[1] **ولا ندم من عمل لآخرته فغنم وسلم.**

إنَّ تلك اللحظات مجللة بقداسة المحبة للإله الجليل في أسمى صورها.. عبقة النَّدى.. فوَّاحة بالعشق المتوغِّل في حنايا النفس.. متدفقة المشاعر الفياضة بالشوق للقاء الرب الرحيم الودود الكريم.

(١) انظر: إحياء علوم الدين ٤ / ٤٥٠.

◆ أيها الحبيب:

لا تقف جامدًا عند قراءة هذه العبارة بل ارفع يديك.. ناجِ حبيبك بأصغريك[١]، وقل: اللهم إنا نعوذ بك من الندم، نعوذ بك في الدارين من الخزي وحسرة الألم.

◆ تردد الإفاقة والإغماء.. لا تقلق.. قد سبق ذلك مع خير الناس ﷺ:

وفي هذه الأثناء أفاق صاحبنا من غشيته، وما زال يكابد سكرات الموت، وعلَّق أحدهم مخففًا من جزع بعض أهله عليه:

«مهلًا!.. مهلًا!.. أما علمتم أنَّ النبي ﷺ كابد السكرات مراتٍ ومراتٍ.. يحاول أن يفيق للصلاة فيذهب ليقوم فيغشى عليه، ثم يفيق فيذهب ليقوم فيغشى عليه، ثم يذهب ليقوم فيغشى عليه، وهو في ذلك كله a يُغْسَل بالماء لينهض، وكم مسح عَرَقَهُ الشريف ﷺ وهو في السكرات».

وعلى الرغم من هذا الحديث الذي يُعَلِّمُ الناسَ الصبر إلا أنَّ المتحدث ما فرغ منه حتى **انسكب دمعه، وحُقَّ له أن يدمع:**

أيا عين حَقُّكِ أن تدمعي ◆◆◆ ويا نفس حَقُّكِ أن تجزعي

ويا كل جارحة لي عليك ◆◆◆ حفيظ فَبَكِّي ونُوحي معي[٢]

(١) الأَصْغَرانِ: القَلْبُ واللِّسَانُ. تاج العروس ١٢/ ٣٢٤.

(٢) المدهش لابن الجوزي، ص: ٢١٧.

كان هناك شخصٌ صامتٌ بين الحاضرين، ينظر نحو الجسد المسجى ثم يطأطئ نظره نحو الأرض، وفجأة انسابت منه دمعةٌ يتيمةٌ بعد أن رأى العَرَقَ يغزو جسد صاحب السرير، وتمتم بكلماتٍ، وصار حاله ناطقًا بآلاف الجمل والعبارات.. انطلق بعض الحاضرين يسأله عن سرِّ ذلك، فأجابه متنهدًا: إنه لمن أحب الناس إليَّ، ولكنني لم أظفر به في الأيام الأخيرة، ووَددتُ لو كلمتُه قبل أن يحدث له ما حدث.. أما وقد امتلأ عرقًا، وظهرت معه أعراض الفراق، فهو الموت لا محالة فإن النبي ﷺ يقول:

«موت المؤمن بعرق الجبين»[1]..

فلعل العرقَ بشارةٌ له بتَحَقُّقِ إيمانه إن شاء الله، وتكفير بقية خطيئة له أو رفعة درجاته. لقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(موت المؤمن بعرق الجبين.. تبقى عليه البقية من الذنوب فيجازى بها عند الموت)** الله! الله.. أو ربَّما لأنه جاءته البشرى خجل واستحيى فعرق جبينه[2].. يا أصحاب: لقد شعرتُ بموته لذلك، وعلى الرغم مما أَظهرتُه للناس من تجلدٍ.. فقد خانتني عبرتي...وأظهر الحزن والشوق لهذا الحبيب لوعتي.. أحاول أن أظهر تماسكي أمام الألم الجارح الذي سيحل بي لرحيله.. أتحاشى السقوط في أعماق الحزن.. لكني أفقد تحكمي بمشاعري فأرتجف رجفة الاشتياق والتذكر للحظات الجميلة بدفئها وحنوها..

(١) أحمد (٢٣٠٢٢)، النسائي (١٨٢٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٧٢٥).

(٢) انظر: فيض القدير ٦/ ٢٥٣.

إخوتاه: إنَّ رحيل هذا الحبيب سيكسر في قلبي موضعًا لن ينجبر بمرور الأيام، وسيخلف في قلبي حزنًا لن يمحوه مرور السنين والأعوام.

لساني كتومٌ لأسراركم ◆◆◆ ودمعي كتومٌ لسِري مذيعُ

فلولا دموعي كتمت الهوى ◆◆◆ ولولا الهوى لم يكن لي دموعُ[1]

لِتَقَرَّ القلوب الراجية لقاءَ الله ولتطمئن بالتكريم؛ ولتنتظر ما وعدها الله إياه، انتظار الواثق المستيقن بحب ربه العظيم؛ فإنه ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥﴾ [العنكبوت: ٥].

◆ أبشر! هنا موعدٌ.. مع المعنى الحقيقي لحسن الظن بالله:

حريٌّ بصاحبنا في هذه اللحظات أن يمتلأ قلبه رجاء بموعود الله ﷻ، ونيل واسع فضله ورضاه، وماله ألا يرجو ذلك وهو يعلم أنه ينبغي أن يكون في فراش الموت على موعدٍ مع حسن ظنِّه بربه، بعد أن قدَّم بين يدي حسن ظنِّه بالله أعمالًا صالحة، وربه ﷻ يقول له:

«أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ عبدي بي ما شاء»[2].

(١) البيتان لأبي عيسى بن الرشيد. أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، للصولي، ص: ٩٠.

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في مسند الشاميين (١٢٣٥)، وهو في مسند أحمد (١٦٠١٦) بلفظ (فليظن بي ما شاء)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

قال بعض الجالسين بهدوءٍ ظاهر: ألا إنَّ هذا الموقف هو موقف حسن الظنِّ بالله.. فإن النبي ﷺ قال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظنَّ بالله**»[1].

أجابه آخر:

«**نعم.. ولكن كم كانت غفلة من أحسن ظنَّه بربه وهو يملأ ظهره من الأوزار!**

يا لغفلة من يزعم أنه يُحْسِنُ ظنَّه بربه، مع أنه يسلك في حياته سلوك الفجار!

يا غفلة من يقيد حياته ويوثقها.. بخطايا هي غلاظ الأثقال والآصار!».

التفتَ إلى القوم صديقٌ مِنْ أعز أصدقاء الحبيب المسجى على فراشه، وقال:

.. لقد تربى هذا الشاب المنيب على مائدة القرآن في حسن الظنِّ بالله.. ما زلتُ أذكر يومًا من الأيام ونحن نتذاكر هذا الموضوع، فذكر أحدنا أن شيخ الوعاظ في مدرسة القرآن، الإمام الحسن البصري رحمه الله شرح معنى حسن الظن بالله رحمه الله شرحًا عجيبًا مؤثرًا فقال:

«**إنَّ قومًا ألهتهم أماني المغفرة، ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمالٌ صالحةٌ.. خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمالٌ صالحة، يقول أحدهم: إني لَحَسَنُ الظنِّ بالله، وأرجو رحمة الله وكذب، لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة-أي الصحراء- من غير زادٍ ولا ماءٍ أن يهلك...**»[2].

(١) مسلم (٢٨٧٧).

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢٩٧.

وهل هناك مفازة وصحراء مظلمة أعظم من عرصات القيامة؟ حيث ألم المذنبين.. حيث الحسرة والندامة..

ثم أخذتِ المتكلم نَشْغةٌ[١] من بكاءٍ.. فتحامل على نفسه، وكفكف دمعه، والتفت نحو صاحبنا المنيب المسجى على فراشه في حبٍّ ورجاء، وقال:

لما تذاكرنا ذلك في مجلسنا، وسمع هذا الحبيب كلام الحسن البصري رحمه الله قال:

فماذا تنتظرون هلم فَلْنُزَكِّ مجلسنا بطاعةٍ من ذكرٍ وصلاة..

يذكرنا الله بها يوم نلقاه.

حُسْنُ ظَنِّي بِحُسْنِ عَفْوِكَ يَا ... رَبِّ جَمِيلٌ وَأَنْتَ مَالِكُ أَمْرِي

صُنْتُ سِرِّي عَنِ الْقَرَابَةِ وَالْأَهْـ ... ـلِ جَمِيعًا، وَكُنْتَ مَوْضِعَ سِرِّي

ثِقَةٌ بِالَّذِي لَدَيْكَ مِنَ السَّتْـ ... ـرِ فَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ نَشْرِي

يَوْمَ هَتْكِ السُّتُورِ عَنْ حُجُبِ الْغَيْـ ... ـبِ فَلَا تَهْتِكَنَّ لِلنَّاسِ سِتْرِي

لَقِّنِّي حُجَّتِي، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ يَا ... رَبِّ لِي حُجَّةٌ وَلَا وَجْهُ عُذْرِ[٢]

إنه صاحب القلب المنيب:

◆ لم تجتمع عليه سكرة الموت وحسرة الفوت.. واحدةٌ تكفي:

نعم! نعم! هاهنا يكون حسن الظن بالله ﷻ بعد عمرٍ حافلٍ بالصالحات،

(١) النشغ: الشهق حَتَّى يكَاد يبلغ بِصَاحِبِهِ الغشي أَو الْمَوْت. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٣/ ٧٣٥، لسان العرب ٨/ ٤٥٦.

(٢) الأبيات لمحمود الوراق. حسن الظن بالله، لابن أبي الدنيا، ص: ١١٦.

وكتابٍ للحياة مليءٍ بالحسنات.. وقد روى أنس ﷺ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «**كيف تجدك؟**»، قال: **أرجو الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي**، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف**»[1].

ودخل بعض الأحبة على شيخٍ من شيوخ التربية الإيمانية هو أبو حازم الأعرج رحمه الله لما حضره الموت فقالوا له: يا أبا حازم كيف تجدك؟ قال: أجدني بخيرٍ.. أجدني راجيًا الله ﷻ.. حسن الظنِّ به.. إنَّه والله لا يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه، فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب[2].

ويخبرنا ثابت البناني رحمه الله عن شاب كان به رهق، وكانت أمه تعظه فتقول له: أي بني، إنَّ لك يومًا فاذكر يومك يا بني، إنَّ لك يومًا فاذكر يومك، فلما نزل به الموت قالت: أي بني، قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول لك: إنَّ لك يومًا فاذكر يومك فقال: يا أمَّه إن لي ربًا كثير المعروف، فأنا أرجو أن لا يعدمني بعض معروف ربي أن يرحمني، قال ثابت: فرحمه الله بحسن ظنه بربه في حاله تلك[3].

(١) ابن ماجه (٤٢٦١)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٨٣).

(٢) حسن الظن بالله، ص١١٦.

(٣) حسن الظن بالله، ص: ٤٤.

صاح أحد أحبابه مستبشرًا مبشرًا:

هاهي ترتسم على وجه صاحبنا الأواه المنيب ابتسامة تتجلى فيها كل معاني الأنس بالله وحسن ظنه به.. ألا ترون ثغره يفترُّ عن بسمة ساحرة آسِرَةٍ؟

مسك الختام لخير حياةٍ مع الأنام:

◆ وهنا استنار وجه الشاب المخبت المنيب، ورجفت الشفتان تتمتمان، وتساءل الناس وهم ينظرون:

إنه يريد أن يقول شيئًا..

ماذا يريد أن يقول؟! أهو تأوهٌ؟! أهي وصيةٌ لم يكتبها؟!

لا! إنه ينطق بكلمات النور.. نطق بأجل كلمةٍ يتحرك بها اللسان، ويفكر بها الجنان، وأعذب ترنيمٍ يحب أن ينطق به المؤمن في آخر لحظات حياته الدنيا بلهفة وحبٍّ وحنان.. لقد بدأ يرفع صوته ويكرر كلامه كأنما يستمع له المشرقان والمغربان، فتتضح كلمات النور من شفتيه:

لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله..

اخضلَّت الوجنات بالدموع بين الحاضرين.. عندما سمعوه ينطق بكلمة التوحيد، واعتراهم الشوق له والحنين..

كبَّر بعضهم فقال: الله أكبر..

هتف آخرون: لقد دفع ثمن الجنة.. وتسلم مفتاحها. أليس ثمنها لا إله إلا الله؟

أليس مفتاح بابها: لا إله إلا الله؟

قال بعض الحاضرين والدموع تغالبه:

لله حياته، ولله موته.. لقد ثبّته الله ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧][1].

فما أطيبها خاتمة، وتالله لقد فاز ببشارة النبي ﷺ حينما قال:

«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة»[2].

وحانت التفاتةٌ غريبةٌ من أحد الحاضرين نحو صاحب القلب المنيب المسجى على فراشه..كانت التفاتته مدهشةً حتى نبهت من حواليه.. فسألوه عن ذلك فقال: ألا ترون إلى إشراق لونه؟ انظروا إليه، كم هو مشرق اللون، صدق الله ورسوله، فقد قال ﷺ:

«إني لأعلم كلمةً لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفَّس الله عنه كربته، ورأى ما يسره.. وهي لا إله إلا الله»[3]..

ولعل هذا ما أشرقت له ابتسامة العابد الصالح ابن المبارك رحمه الله عند احتضاره فقد روي أنه لما احتضر نظر إلى السماء فضحك، ثم قال:

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[4] [الصافات: ١٦].

(١) عن ابن عباس أن القول الثابت في الحياة الدنيا: هو لا إله إلا الله.. انظر: تفسير القرطبي ٩ / ٣٦٢.

(٢) مسلم (٢٦).

(٣) أحمد (١٣٨٤) في قصة ماتعة، وصحح إسناده الأرناؤوط، وقد رواه الحاكم (١٢٩٧) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) العاقبة في ذكر الموت، لابن الخراط، ص: ١٣٥.

ثبَّته الله حتى نطق بكلمة التوحيد، في هذا الموقف الصعب الشديد.. نطق بكلمة التوحيد، فاستحق الهناء والتمجيد، وخسئ بذلك عدوه الشيطان المريد، فكيف يشقى وقد كان في صحته وعافيته وساعة موته مع الولي الحميد:

كيف أشقى؟! وقد أَنَرْتَ سبيلي ◆◆◆ وشَرَحْتَ الفؤادَ بالتنزيلِ

كيف أشقى؟! وأنت مني قريبٌ ◆◆◆ تتجلَّى بِبِرِّكَ الموصولِ

كيف أشقى؟! وأنت مالكُ أمري ◆◆◆ أنت حسبي وراحمي ووكيلي

كيف أشقى؟! وقد رحمتَ لجوئي ◆◆◆ ورميتَ العدو بالتخذيلِ

كيف أشقى؟! ومهجتي في هناءٍ ◆◆◆ أنت يا رب مؤنسي وخليلي[1]

(١) من قصيدةٍ لشاعرنا المبدع عبد الرحمن العديني وفقه الله تعالى.

المشهد الثاني

الغيب يتحول إلى شهادة:
نحن «أولياؤكم».. إنه إعلان السعادة

آخر استفاقةٍ.. انظر من القادم ليلقى أحباءه وعشاقه:

◆ الناس حول الشابِّ المنيب بين جاهشٍ بالبكاء، ومترقِّبٍ يلهج بالدعاء:

لَمْلِمْ بقـــايا قلبِك المتصـــدِّعِ ••• وارحم جفونك من لهيب الأدمعِ

ولكنهم لا يدرون.. لا يدرون أن مفاجآت السعادة بدأت تتوالى عليه من السماء، ففي هذه الأثناء بدأت قصته العجيبة المهيبة التي لا يدركها النائمون.. لا.. ولا الأصحاء!

◆ استقبل العالم الجديد.. نعيمٌ أُعِدَّ لكُلِّ أَوَّابٍ بَرٍّ قانتٍ سعيدٍ:

كان وحده يرى سبب سكينته وأنسه.. وحده بين أكوام الناس المتحلِّقين حوله.. المحيطين به.. يشاهد معنى سروره وعرسه..

إنه يرى عالَمًا جديدًا.. تتنزل في رحابه أنوار سَنِيَّةٌ.. وتتغشاه مخلوقاتٌ بديعة الخلق نقيةٌ.. حسنة الوجوه حسنة الثياب من الملأ الأعلى.. يراها وهي تتنزل عليه بصورةٍ لا أبهى ولا أحلى.. ثم هاهي -وفي لحظاتٍ- قد اجتمعت عليه،

وحفَّت بسريره، وملأت عليه مجلسه.

يا للعجب! هو لا يستطيع فتح عينيه بصورةٍ سويةٍ ليشهد أهله وأعز أصحابه ما حوله من الأنباء والخبر، ولكنه يستطيع أن يشهد عالمًا جديدًا تعجز أن تراه أعين الأسوياء من البشر، إنه يرى عالم الغيب يتحول في هذه اللحظة الحاسمة من حياته إلى عالم شهادة.. ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾ [المدثر: ٣٦-٣٧].

◆ مَنْ هذه المخلوقات التي يراها تملأ عليه ناظريه، وما زال يراها تتوافد وتتنزل عليه؟!

إنها الملائكة تتنزل عليه بأمر ربها، والناس حواليه للحقائق لا يشهدون، بل هم في شغلٍ آخر غافلون، والبيان الرباني يخاطبهم:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ [الواقعة: ٨٥]..

لقد امتلأ الفضاء بأنوارهم.. وعبقت الأنحاء بأريجهم.. لَكَأنهم أقبلوا للاحتفال بتلك الروح الطاهرة الزكية، ليُلْحِقُوها بركب الأرواح الصالحة النَّقِية، في المنازل الرفيعة العَلِيَّة.. تهبط الملائكة بخفة ونعومة لتحيط روحه قبل جسده بعناية خاصة.. أشبه بفريق العناية المركزة المترفقة بمن يقدم عليهم أو يقدمون عليه.

ينظر القانت إلى الملائكة هادئًا ساكنًا.. لو استطاع لنطق مُرَحِّبًا.. لو استطاع لنطق محييًا.. لو استطاع لتحرك طربًا..

لو استطاع لقال كما قال محمد بن الْمُنْكَدِرِ لصفوان بن سليم ﷺ عند موته:

«لو ترى ما أنا فيه لقَرَّتْ عَينُك»[1].

دَعُــوهُ! لا تلُــومُوهُ! دَعُــوهُ ◆◆◆ فقد عَلِــمَ الذي لــم تَعْلَمُوهُ

رأى عَلَــم الهــدى فَسَــمَا إليه ◆◆◆ وطالــب مطلبًــا لــم تطلُبُوهُ

أجــاب دُعَــاءَهُ لمَّــا دَعَــاهُ ◆◆◆ وقــام بحقِّــهِ وأَضَعْتُمُــوهُ

بنفــسي ذاك من ممنــوح قربٍ ◆◆◆ تَــذوَّقَ مَطْعَمًا لــم تَطْعَمُوهُ[2]

أول مرةٍ.. إنها أصوات الملأ الأعلى تُسْمَعُ في الدنيا[3]:

الملائكة تتوافد إليه.. رآها وهي تتنزل عليه.. هكذا وصفها ربنا-عزَّ جاره-:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

(١) المحتضرين لابن أبي الدنيا، ص١٧١. وقد ثبت في تراجم بعض أهل العلم وغيرهم من الصالحين أنهم كانوا يرحبون بملائكة الرحمة عند نزولهم.

(٢) حدائق الأولياء ١/ ٥٠٧.

(٣) كيفية قبض روح المؤمن وردت في روايات كثيرة متواترة منها في البخاري ومسلم، ومن أجمع هذه الأحاديث حديث البراء بن عازب الذي رواه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١٠٧) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، والبيهقي في الشعب (٣٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٨).وتم تخريجه في المقدمة.. ومن ذلك حديث أبي هريرة الذي رواه ابن حبان (٣٠١٣).. ومعظم ما سيرد في هذا المشهد والمشهدين اللذين يليانه يرجع إلى هذه المراجع، ولذا لن يعود الكاتب للتوثيق..

ملائكة الرَّحمة والحنان ما إنْ تتنزَّل عليه، وتجلس من حواليه مدَّ البصر، حتى تنطق مبشرةً له بما هو أثمن من الذَّهب والجواهر والدُّرر. تقول له: لا تخف ولا تحزن.. لقد جاء ملائكة الله ﷻ إليه برسالة السكينة.. تزف إليه بشرى التخلُّص من كل ألم وحزن.. بشرى الفوز العظيم.. تطمئنه أنها سترافقه في رحلته النورانية.. لسان حالها: لن تكون وحيدًا.. هذه قلوب ملائكية تنبض بحبك، وأطياف من الملأ الأعلى عنوا برعايتك، وأرواح علوية سترفرف طربًا لمقدمك.. فأبشر ثم أبشر.

◆ الله! الله!.. إنه يسمع الآن البشرى..

البشرى بالنجاح في مسيرة حياته الحافلة بالأعمال الصالحة، لقد كان ينتظر سماع ذلك أكثر من انتظار العاشق لمحبوبه، وأعظم من خبر الانتساب إلى الوظيفة المرموقة أو التفوق في الدراسة لطالبه.. نطقت الملائكة ففاح النطق شذًا وعبيرًا ولو استطاع لامتلأ هو بها تيهًا وسرورًا، وكانت أول كلمةٍ يسمعها تساوي الدنيا وما فيها، لقد قالت له: لا تخف ولا تحزن.

◆ في ساعة الانتقال.. كفاها بشرى من أوليائه ومحبيه من الملأ الأعلى:

ماذا سيقول -لو استطاع أن يقول- وأول كلمةٍ من عالم الغيب يسمعها: لا تخف ولا تحزن.

يا للملائكة الحبيبة! سخرها الرب الودود لتستغفر له في الدنيا، ولتستغفر لمن معه من الذين آمنوا، كانت تقول وهو حيٌّ صحيحٌ سويٌّ قوي، يعبد ربه الجليل، تترنم بأعظم كلمات المحبة التي بيَّنها التنزيل، وتُظْهِرُ في كلماتها إشفاقًا عليه

وعلى أصحابه في الدنيا في وقتٍ عزَّ فيه الصاحب النبيل:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر:٧]..

كان في دنياه يسمع ترنيمها في القرآن تطلب للمؤمنين التكريم، فتقول:

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨﴾ [غافر:٨]..

كان في دنياه يرى إشفاقها على المقصرين من عذابٍ أليم، فتقول:

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غافر:٩].

اللـه! كان يرى حبَّها له في الدنيا.. يحسُّ به.. فيمتلئ قلبه طمأنينةً وبِشْرًا، وهاهو ذا الآن يسمعها بأصواتها العذبة، ويراها بهيئاتها النقية، وهي تزف له أعظم كلمةٍ كان ينتظرها مذ عرف الله والرسول والدنيا والآخرة والجنة والنار: لا تخف ولا تحزن..

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«المُؤْمِن إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ»(١).

يا للسعادات المتوالية، والآلاء غير المتناهية.. تنهال غيثًا مدرارًا.. وتنساب جداول وأنهارًا.

(١) البخاري (٦٥٠٧).

أتنتظر -أيا حبيباه- أن يحدث لك المشهد ذاته بلهفٍ وشوقٍ كما كان ينتظره؟

بداية الزفاف:

ما زال الطاهر المخبت المنيب في دنياه تغالبه السكرات، الناس من حوله في شغلٍ عظيمٍ وحزنٍ جسيم، وهو في شغلٍ عنهم في فرحٍ لا يستطيع التعبير عنه بسبب آلام الموت، وإن كان بهاء ملائكة الرحمة ونورها قد انعكس على وجهه، وهو بين الحياة والموت.. لقد صار يستطيل اللحظات المتبقية له في دنياه، ويود لو طار على جناح الشوق لجنة مأواه، ولقاء مولاه..

ربما تساءلتَ: ما معنى تلك البشرى؟

فاسمع الجواب يا صفوة الأحباب، من ربك التواب؛ إذ يصف لنا ربنا -عزَّ جاره- مشهدَ تَنَزُّل الملائكة عليه بأدق التفاصيل، حينما يقول ﷻ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت: ٣٠].

أبشر أيها المخبت فلك مصيرٌ كهذا المصير الجميل، إنْ عشت لربك حقًّا وأنت بين يديه عبدٌ مُخبتٌ ذليل.

إنها تتنزل عليه فيما يَعِنُّ له بما يشرح صدره، ويدفع عنه الخوف والحزن[1]، وتُعْلِنُ بذلك بدء مراسيم زفافه إلى الآخرة، فتقول له: لا تخف مما يستقبلك من

(١) انظر: تفسير البيضاوي ٥ / ١١٤.

أمر الآخرة، ولا تحزن على ما يستدبرك من أمر الدنيا؛ فإن كل شيءٍ ترجوه سيتحقق لك وما هو أعظم منه، وكل شيءٍ تخشاه سيُدْفَعُ عنك، وما هو أعظم منه.

كأن الملائكة تقول له: أتخاف من الأمور العظام التي تستقبلك بعد الموت؟[1].. فلا تخف.. فإنك تستقبل الموت ويستقبلك وقد أويتَ إلى ركنٍ شديد..

إنه ركن الله ﷻ.. **أليس هو الصاحب في السفر**، بل والحضر، وهو المليك المقتدر؟ ومع ذلك فأنت أيضًا في حراسة الكرام المقربين، من الملائكة الأطهار القانتين، وستُخَفَّفُ عنك آلام الموت فاطمئن ولا تخف، فكل أمر تحبه متحققٌ مستقر.

وعلام تحزن؟ أتحزن على ما خلفت من أهلٍ ومالٍ وبنين؟ فلا تحزن على ما خَلَّفْتَ، فإن ولاية الله لك ستجري فيهم بما تحب كما لو كنت حيًا وأفضل من ذلك... **أليس هو الخليفة في الأهل؟**

إنها الطمأنينة تسكبها ملائكة الله ﷻ في فؤاده فتتغشاه، والسكينة تحيطه بها فتتجلى في مُحَيَّاه، وليس أعظم ما يحتاجه العبد في ذلك المشهد من حنانٍ ملائكي يحتويه فلا يجزع، ويكتنفه فلا يفزع.

اسمع إلى الملائكة تقول له -كما يقول مجاهد رحمه الله:

«لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم، فإن الله خليفتكم عليهم»[2].

(١) هذا تفسير مجاهد.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٣٥٩.

◆ أيها القانت الأواب:

لا تخف أن يُرَدَّ ثوابُك، ولا تحزن على ذنوبٍ فرطت منك في حالة ضعف:

كأن الملائكة تقول: أيها القانت:

مـمَ تخـاف وعلام تحـزن؟ أتخـاف يـا ولـيَّ اللـه أن يُـرَدَّ ثوابـك، وألا يقبـل عملُـك؟ خوفًا مـن أن يكـون صَاحَبَـهُ ريـاء، أو قلقًـا مـن ألا تكـون أتقنْتَـه، أو إشـفاقًا مـن الذنـوب التـي اقترفتَهـا عندمـا ضعفـت نفسـك، فخشـيت أن تهلـك الذنـوبُ صالـحَ الأعمـال؟ هاهـي ذي الملائكـة تقـول له-كمـا يقـول عطـاء بـن أبـي ربـاح رحمه الله:

لا تخافـوا رد ثوابكـم فإنـه مقبـول، ولا تحزنـوا علـى ذنوبكـم.. فإنـي أغفرهـا لكـم[1].

للـه أنـت أيهـا القانـت الأواب: لطالمـا كنـت تفـزع مـن ذنـوبٍ فرطـت منـك فـي لحظـة ضعـفٍ، وتخـاف مـن علام الغيـوب علـى أفعـالٍ سـالفات خشـيتَ مـن مغبتهـا.. هنيئًـا! لقـد كانـت التوبـة نصوحًـا، وعـاد الشـيطان بعـد أن أُوعِـكَ باسـتغفارك خاسـئًا كسـيحًا:

اعـــفُ عنـــي وأَقِـــلْ عثرتـــي ... يا عتـــادي لملمـــات الزمن

رب لا تعاقبنـــي فقد عاقبـــني ... نـــدمٌ أقلق روحي فـــي البدن

إن تؤاخذنـــي فمـــن ذا أرتجي؟ ... وإن لم تعف عن ذنبي فمن؟[2]

(١) تفسير القرطبي ١٥ / ٣٥٩.

(٢) المدهش لابن الجوزي، ص: ١٦٥.

ولم الخوف أو الحزن وأمامك الآن دار السعادة، وعند ربك أعظم الوفادة:

تظل الملائكة توالي التبشير على هذا العبد المنيب.. المحتضر.. فبعد كل التطمينات السابقة تختم البشرى له بما كان ينتظر سماعه فإن عمله في الدنيا، ونجاحه في اختبارها يتوقف على أن يسمع أنه قد استحق الجائزة المترتبة على النجاح.. لكن ما الجائزة المنشودة؟

إنها الجنة التي ما نام يومًا عن سؤالها، ولا غابت ساعةً عن باله.. ولذا تبادره ملائكة الرحمة من حبها له بكبرى البشائر:

﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]..

الجنة التي وعدك بها الله ﷻ.. وحدثتك عنها الرسل.. أبشر بها أيها المنيب.. فالآن موعد رحيلك إليها:

فَحَيَّ على جنَّاتِ عدنٍ فإنَّها ••• منازلُك الأولى وفيها المُخَيَّمُ

أيها الأبرار الصالحون:

أبشروا ﴿بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] بها في الدنيا فإنكم واصلون إليها، مستقرون فيها، خالدون في نعيمها.. إنها شهادة النجاح التي طالما اجتهد لنيلها المخلصون، وبطاقة الفلاح التي بها إلى مفاوز النجاة يعبرون.. قد فاز من نالها فوزًا عظيمًا، ونزل من نالها عند مولاه منزلًا كريمًا.

◆ أيُّها الحبيب الصفيُّ: في رحلة الأهوال القادمة.. الصحبةَ.. الصحبةَ:

لربما خطر ببال المؤمن ساعتها إن أمكنه التفكير[١] أن يتساءل في لحظة وجومٍ بعد نشوة فرحٍ: ولكن الرحلة من سكرات الموت إلى دار السعادة يتخللها القبر وأهواله، والقيامة وعرصاتها، والحساب وفضائحه، والعبور على جسر جهنم وشدته.. فكيف سأصل إلى الجنة؟ كيف السبيل للأمان في هذا الطريق الذي تُنْسَفُ فيه الجبال، وتخبو فيه أنوار الشمس والقمر؟ كيف السبيل للأمان؟

وهاهنا تقطع عليه الملائكة حبال تفكيره لتطمئنه عن السبيل للوصول إلى الجنة فتقول له: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١] نحن معكم في الدنيا والآخرة، فلا تفزعوا من وحشة الطريق، فنحن-كما يقول مجاهد ﷺ:

نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا: لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة[٢]..

تقول لهم الملائكة- كما يقول السدي وغيره-: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا نحفظ أعمالكم، ونلهمكم الحق وعليه نثبتكم، ونحملكم على الخير.. نسددكم، ونوفقكم، ونحفظكم من بين أيديكم، ومن خلفكم بأمر الله، وسنبقى معكم في

---

(١) يظهر أنه يمكنه التفكير بدليل استيعابه لمعاني هذه البشائر، ولثبوت ذلك على من يغشى عليه من الموت، وقد قال النبي ﷺ في مرض موته قبل قبضه بلحظات وهو يخير من جديد: في الرفيق الأعلى الأسعد.

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٥٩.

الآخرة نؤنسكم من وحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط، ونوصلكم إلى جنات النعيم[1].. حينما يتعادى الكفار وقرناؤهم حتى نسلمكم إلى الجنة.. إلى دار السعادة..

صحبة ملائكة الله الكرام لا تعدلها صحبة كما يقول ابن القيم رحمه الله:

«ليس أحد أنفعَ للعبد من صحبة الملَك له، وهو وليّه في يقظته ومنامه، وحياته، وعند موته، وفي قبره، ومؤنسُه في وحشته، وصاحبُه في خلوته، ومحدّثُه في سرّه. يحارب عنه عدوَّه، ويدافعه عنه، ويعينه عليه، ويعِدُه بالخير، ويبشّره به، ويحثّه على التصديق بالحق»[2].

أجل.. كان الحفظة وملائكة الرحمة قريبين من المؤمن في الدنيا لقربه من ربه، وكانوا يحفظونه ويتولونه لأنه تولى الله عز وجل:

من له في ثروة الهادي نصيب ••• فهو من جبريل في الدنيا قريب

وهذا التبشير يتكرر عند موته وفي قبره وحين يبعث[3] زيادةً في التطمين لشدة الهول في يوم الفزع المبين.

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ١٠٠.

(٢) الداء والواء، ابن القيم، ص: ٢٥١.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ١٠٠.

بل اطمئن يا ولي الله فإن الملائكة تتولاك، والله من قبلها وبعدها يتولاك فالله ولي المؤمنين ومولاهم[١].

بُشراهُ والأملاكُ إذ تتنزَّلُ ... في ساعةِ التوديع إذ هو يرحلُ

الأمر حقٌّ والمخاطرُ أحدَقت ... والدَّمعُ من أجفانه يَتنزَّلُ

والروحُ من هولٍ شديد أُلجِمت ... والقلبُ من ألم النَّوى يتزلزلُ

فيقول أملاكُ السماءِ له اطمئنْ ... لا خوفَ فالأمر المهولُ سيَسهلُ

إيَّاك والأحزان إنَّ ملائكًا ... هم أولياؤك بالمنى تتفضَّلُ

لكَ ما اشتهَت نفسٌ وما تدعو بهِ ... حالًا يفيضُ عليكَ دوما يقبلُ[٢]

◆ أيها المشتاق.. هل أتاك نبأ قصة حبٍ طاهرٍ صادقٍ بين مخلوقين.. تجاهله العشاق[٣]:

إنها قصة الحب الممتدة من الدنيا وتبقى حتى تستقر أيُّها العروس في قصرك الأبدي، وملكك السرمدي.. قصة الحب الطاهر بين الملائكة الكرام الحافظين وبين البشر المؤمنين، ولذا تتابع الملائكة أخلاءها المؤمنين في الدنيا بالاستغفار لهم والدعاء، وبالحفظ من الآفات والبلاء، وفي سكرات الموت تأتيهم مبشرةً مُهَنِّئَةً،

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٥ / ٣٥٩.

(٢) شعر للدكتور/ عامر الخميسي -وفقه الله-.

(٣) لفظة العشق هنا من باب المجاراة في بيان شدة الحب، لا بالمعنى المعروف وهو العشق لمن ينكح، فهو غير مراد في الكتاب.

ويوم القيامة تتلقاهم كأحرّ ما يكون التلقي، وفي الجنة تدخل عليهم من كل باب، وسنتتبع قصة الحب هذه عيانًا كما بينها القرآن المجيد.

قصة الحب بين عباد الله ﷻ الصالحين وملائكة الله المقربين أروع ما تكون قصص الحب.. قصة مترعة بوفاء لا حدّ له، وحب فريد مبذول دون مقابل.. والمؤمنون في سعيهم الحثيث في الدنيا إلى مرضاة الله لا تنفك الملائكة من التحليق حولهم حماية ورعاية، وترشيدًا تسديدًا، وإيحاء إلهامًا، وإعزازًا وإكرامًا.. فتش في كل سجلات أقاصيص الحبِّ لن تجد مثل ما وصفنا إلا في هذا الحب العلوي.

وحسبك أن تعلم هنا -أيها المشتاق- أن الملائكة تبادر إلى تبشيرك في المواطن العصيبة بما يرفع عنك الهمَّ ويُذْهِبُ عنك وعورة الموقف:

كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] إذا المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة، وأما بشراهم في الآخرة فكما قال ﷻ:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾

[الأنبياء: ١٠٣][1]..

فيا مسرة من فاز بهذه الرفقة، وقام بحقوق هذه الصحبة!

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٨١.

◆ أيها الغريب في دنياه، الشاكي من عدم الصاحب القريب:

احفظ الله في دنياك فإنَّ الملائكة تحبك وتصحبك في دنياك وأخراك.

ولنعد إلى العبد المنيب المسجَّى على فراشه:

دغدغة عواطف العبد المخبت على فراش موته بذكر بعض نعيم دار السعادة:

ومن حُبِّ الملائكة للعبد المنيب وتبشيرها له، وقربها منه، ورغبتها في التخفيف عنه من آلام الموت تنطلق في ذكر بعض ما سيلقى في دار السعادة.. تدغدغ عواطفه، وتهيئ نفسه، وتفعمه فتقول له بعد ذلك:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣١]

كأنها تقول له: يا حبيب! ماذا تريد أكثر من التبشير بالجنة؟ على عادتكم أيها البشر! تقلقون على الرغم من أننا قد بشرناكم بأعظم بشرى..

ألا نخبركم عن الجنة.. ألا نشوقكم لتُحِبُّوا نزولنا عليكم لقبض أرواحكم:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣١]

لكم ما تسألون وتتمنون وتطلبون.. فمهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم[١]..

وذلك كله ﴿نُزُلًا﴾: ضيافةً لكم، ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٢].. فنزولك دار السعادة، ومكان الريادة ضيافة تقدم لك من غفورٍ رحيم[٢].

(١) تفسير ابن كثير ١٧٧/٧.

(٢) نزلًا على التفسير الأول منصوب على الحالية، أو جمع نازل وهو حال أيضًا..وهذا هو التفسير الأول لها.

ألا يكفيك يا ولي الله أن لك في الجنة ما تشتهي نفسك، ولك فيها ما تطلب من طعامٍ وشرابٍ ولباسٍ ونساءٍ وخدمٍ وولدانٍ وقصورٍ وأراضٍ وأنهارٍ ووسائل نقلٍ وبُسُطٍ وكؤوسٍ وأكوابٍ...وَسِّع خيالك وعَدِّدْ إن أحببتْ.. لا تعدد! لأن لك فيها ما تشتهي نفسك وتَقَرُّ عينك من الملاذِّ.. حتى.. لما سأل رجل النبي ﷺ عن الجنة أفيها خيل؟ فقال له ﷺ:

«يَا عَبْدَ اللَّهِ: إِنْ يُدْخِلْكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَلَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ»[1] ..

كأنه يقول له: اطمئن ففي الجنة خيلٌ لا كخيول الدنيا، ولا تهتم لأن لك كل ما تشتهي نفسك.. ولك كل لذةٍ هنيئةٍ طيبةٍ، ونعيمٍ عظيمٍ مما لم يخطر ببالك، وبه تقر عينك..

يا ولي الله فهل عرفت لماذا قال النبي ﷺ: «ولذت عينك» بعد قوله: «تشتهي نفسك» وفي رواية تبين بعض مواصفات الخيل أن عبد الرحمن بن ساعدة قال: كنت أحب الخيل، فقلت: يا رسول الله! هل في الجنة خيل؟ فقال: «إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرسٌ من ياقوت له جناحان يطير بك حيث شئت»[2]..

(١) مصنف ابن أبي شيبة ت الحوت (٣٣٩٩١).

(٢) صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (٤٢٤)، البعث والنشور للبيهقي ت حيدر (٣٩٦).

تاللـه.. إن الأذن لتلتـذ بسـماع خبـر هـذه النعـم والأفضـال فكيـف بمعاينتهـا؟! وإن القلـب ليرقـص فرحًـا وشـوقًا إلـى اجتنائهـا فكيـف بتحقـق مشـاهدتها ومعاقرتهـا؟

يا ولي الله.. فما تريد بعد ذلك أكثر؟

◆ استمع مشتاقًا ثم ارفع يديك راجيًا وقل: اللهم اجعلنا من أوليائك يا أرحم الراحمين.

ولكن من الذي يحقق كل هذا؟ من الذي يجعل الأمنيات واقعةً، والغيب شهادةً، والخيالات حقيقةً، والرجاء ماثلًا أمام الأعين؟

تقول له الملائكة: كل ذلك لكم -يا ولي الله-: ما تشتهي نفسك، وكل ما تطلب سيتحقق لك رزقًا وضيافةً يضيفكم بها الغفور الرحيم.. نعم الغفور الرحيم..

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٢]..

◆ أيها الحبيب المشتاق:

أتدري لماذا اختارت الملائكة وصف الله بالغفور الرحيم في هذا الموضع؟ لم تختر هذا الوصف إلا ليظهر لك يا ولي الله أن الله ﷻ يعامل أولياءه هناك وينظر إليهم من منطلق غفرانه لذنوبهم، كأنها تقول له: يضيفكم في دار رحمته من منطلق غفرانه لذنوبكم، ورحمته بكم بإدخالكم دار السلام، ومحل الكرام.. فلن يقابلكم بأسمائه الحسنى التي فيها القهر والجبروت والهيمنة والانتقام. كلا! كلا.. بل

يقابلكم باسم الغفور الرحيم.

وهذه الكلمة البديعة: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٢] تشعر بأن ما يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون قليلٌ.. فإن ما يُعطونه لا يخطر على بالهم فكيف يتمنونه؟ ذلك كالنزل للضيف لا يخطر على باله ما سيقدم له غالبًا[1].. فيا لكرم الإله العظيم الجواد! ويا لعطاياه ومنحه التي لا يحدُّها حاد، ولا ينقطع دونها الإمداد

إنها البشرى.. تتابع.. أما المجرمون فيقولون حجرًا محجورًا:

وهكذا تمضي ملائكة الرحمة في تبشير ولي الله في كل موطنٍ من مواطن الانتقال إلى رحمة الله الخالدة في الجنة، فإنها تبشره -كما يقول وكيع وابن زيد رحمهما الله-: في ثلاثة مواطن، عند الموت، وفي القبر، وعند البعث[2].. وقارن بين هذه البشرى في هذا الموقف وبين حال المجرم الذي يقول الله تعالى عنه:

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢]..

وذلك في وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه: اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث.. اخرجي إلى سموم وحميم وظل من يحموم، فتأبى الخروج، وتتفرق في البدن فيضربونه.. يا للضرب.. لو تراهم في ذلك الموقف لرأيت شيئًا مفزعًا عظيمًا

(١) البيضاوي ٥ / ١١٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٥ / ٣٥٩.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].. بخلاف حالك أيها المؤمن المخبت القانت في وقت احتضارك فإنها تبشرك بالخيرات، وحصول المسرات[1] .. أصغيت سمعك لهذه البشائر؟

يا لهفة عبدٍ وهو يسمع هذه البشرى!

لله لهفة عبدٍ وهو يوالي المعصية تلو المعصية في حياته الحسرى!

لله لهفة عبدٍ وهو يقدم لذائذ دارٍ دابر أهلها مقطوعٌ مصبحين!

لله لهفة عبدٍ وهو يَطَّرِحُ قيام الليل ويبيت في غفلاته تارةً بعد أخرى!

قُمْ في ظَلام الليل واقْصُدْ مُهَيمِنًا ◆◆◆ يراك إليه في الدُّجَى تَتَوَسَّلُ

وقُلْ يا عظيمَ العفوِ لا تقطعِ الرَّجَا ◆◆◆ فأنت المُنى يا غايتي والمؤمَّلُ

فيا ربِّ فاقبل توبتي بتفضُّلٍ ◆◆◆ لِمَنْ أشتكي حالي ومَنْ أَتَوسَّلُ؟

◆ بعد هذه البشائر المتتابعة: ما أعظمُ أمنيةٍ لك أيها المخبت المنيب؟!

ماذا تتوقع من المخبت المنيب بعد سماعه كل تلك البشائر إلا أن يطير قلبه فرحًا وشوقًا للقاء ربه، وهنا يتجدد على الأسماع الأوابة، والقلوب المخبتة التوابة،

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٣١٥.

والنفوس الشريفة المهابة قول النبي ﷺ:

«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَه، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَه.. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! كُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ، جَاءَهُ الْبَشِيرُ مِنَ اللهِ ﷻ بِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ لَقِيَ اللهَ ﷻ فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَه...»[1].

◆ يا أيها المخبت الأوَّاب:

انظر إلى وصف النبي ﷺ: فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله تعالى.

يا ساهر الليل أرقًا تُفَكِّرُ في جنَّات عدن.. هاهو ذا يومك هلَّ واقترَبْ..

يا دامع العين خوفًا من النار، وشوقًا إلى دار السلام.. هاهو ذا طريقك قد أُضيئت أعلامه فسبِّح واقترِبْ..

يا ساجدًا يناجي ربه في ظلم الليالي بقلبٍ محبٍ مضطرِب، هاهو ذا منار سعدك قد ظهرت حقائقه، وانتهت أوهامه، فماذا تنتظر؟ ماذا تنتظر؟ أَسْرِجْ الشراع،

(١) السنن الكبرى للنسائي (١١٧٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٨٥).

وأَعْلِنْ في الناس الخبر الذي تُحِبُّ أن يُذاع: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس: ٢٦-٢٧].. يقول بعض أهل البصائر:

«لمَّا علم الله سبحانه شِدَّة شوق أوليائه إلى لقائه، وأنَّ قلوبهم لا تهدأ دون لقائه، ضرب لهم أجلًا وموعدًا للّقاء تسكن نفوسهم به»[١].

أَسْرِجِ العزمَ وسِر في همَّةٍ ◆◆◆ أشعِلَ الليل بجنح الظلمةِ

قم وثابر للمعالي مخلصًا ◆◆◆ زاحِمِ القومَ برأس القمةِ

اسلكِ الدَّرب بجهد دائمٍ ◆◆◆ فالليالي سانحاتُ الفرصةِ

عمرك الباقي قصيرٌ لا تقف ◆◆◆ واغنمِ اللحظةَ بعد اللحظةِ[٢]

◆ يا لخبرٍ تقف الدنيا تعجبًا له:

المخبت المنيب ينتظر بفارغ الصبر أن يخرج من دنيا الأوهام!

يرى أنَّ عيشه بعد سماع هذه البشائر حرامٌ..

يرى أنَّ عيشه بعد سماع هذه البشائر تأخرٌ عن نيل المرام..

والباكون من حوله لا يعلمون أي سعادةٍ يذوق، وفي أي أمرٍ قد انشغل عنهم وهام..

(١) الجواب الكافي لابن القيم، ص: ١٨٣.

(٢) للشاعر الدكتور/ عامر الخميسي -وفقه الله-.

يبكـون.. يبكـون وربمـا يصرخـون يـودون لـو يبقـى سـاعةً مـن نهـارٍ، أو يُمَتَعـون بـه سـائر الأيـام..

ما علموا أنه يود أن يُعَجَّلَ به إلى ربِّه.. إلى دار السلام.

◆ أيتهـا الملائكـة الطاهـرة: عَجِّلِـي.. عَجِّلِـي.. يـا رب طـال شـوقي إليـك فعجِّـل قدومـي عليـك:

بـدأ المخبـت الأواب يغرغـر، وشـعر النـاس مـن حولـه أنَّ الـروح قـد بلغـت الحلقـوم، فمـا مـن المـوت مفـرٌّ، واهتـزَّ بعضهـم إشـفاقًا عليـه، وحبًّـا لـه، وبـرزت الدمـوع الحزينـة تتـرى لا تسـتقر، ولشـدة الحـبِّ، وقسـوة الفـراق عـاد الأمـل يتحـرَّك فـي قلـب أحدهـم فظـنَّ أنَّـه يمكـن شـفاؤه بوسـيلةٍ أو بأخـرى، وهكـذا طبـع المحبيـن يـودون أن يدفعـوا عـن أحبتهـم الفـراق ولـو كان عيـن اليقيـن.. قـام يتحـرك داخلًا وخارجًـا عسـى أن يُهْـدَى لتذكـر طبيـبٍ يعالجـه، أو علاجٍ يسـعفه، ولكـن هـل يمنـع المقـدر المحتـوم؟ وكيـف يـرد قضـاء الملـك الحـيِّ القيـوم؟

وانهـارت مقاومـة الأحبـاب، وجثـوا علـى ركبهـم فـي عجـزٍ وهـم يـرون رحيـل صاحبهـم قـد آذن بالاقتـراب، ورفعـوا أيديهـم إلـى اللـه ﷻ فـي ذلٍّ وارتقاب، ونـادوا مجـددًا بصيحاتٍ متأوِّهـةٍ قـد مُزِجَـتْ بدمـوع الإشـفاق والاحتسـاب.. نـادوا ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾ [القيامـة: ٢٧]؟ هـل مـن شـافٍ؟[1].. أطلقـوا صيحاتهـم الملتاثـة بدموعهـم.. هـل مـن راقٍ؟ «علـى وجـه

(١) على التفسير الثاني بأن ذلك كان على وجه الاستبعاد لا البحث عن طبيب وهو التفسير الأول، وقد تقدم في مكانه.

الاستبعاد واليأس أي ما يقدر أحدٌ أن يرقيه من الموت»[١].

◆ ومنادي الحق ينادي:

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٤]..

وأنتم حينئذٍ تنظرون أمري وسلطاني.. فلا تستطيعون إلا الإذعان والتضرع..

وأنتم حينئذ تنظرون إلى الميت لا تقدرون له على شيءٍ...

إنه لقاء الموت «**وصلت الروح إلى هذا الموضع بحيث فارقت ولم تفارق.. فهي برزخٌ بين الموت والحياة، كما أنها إذا فارقت صارت في برزخٍ بين الدنيا والآخرة**»[٢]..

ومنادي الحق ينادي:

هل أنتم ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٧]؟ هل تستطيعون ذلك؟

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِ ◆◆◆ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقِ؟

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ١١٢.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ص: ١٤٨.

آخر نظرةٍ إلى دنيا الكدح:

هنا تمَّ الوصف القرآني للحظات القبض الأخيرة المشاهدة لمن حول الحبيب المنيب:

١) بدا اليأس من الطبيب، واستولى الضيق على كل صدرٍ رحيب، حزنًا على فراق العبد المنيب.

٢) هنا ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾ [القيامة: ٢٨].. ظنَّ ثم تَيَقَّنَ حبيب النفوس أنَّه الفراق للدنيا وخاصةً بعد أن عاين الملائكة، وتيقن من حوله أنه الفراق لحبيبهم ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾ [القيامة: ٢٨].. فراق الدنيا والأهل والمال والولد.

أسعديني بدمعك الرقراقِ ◆◆◆ لفراق الحبيب يوم الفراقِ

٣) ونظروا إليه، فإذا ساقاه.. ساقاه تلتفان أحيانًا مع شدة النزع ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ [القيامة: ٢٩].. فاتصلت بجسده الضعيف شدةٌ بشدة.. شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة[1] .. فهو بلاءٌ ببلاء، والْتَفَّتْ لهذه الشدة والسكرات ساقاه.. أمّا رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى[2]، ثم ترى رجليه تموتان،

(١) كما هو تفسير ابن عباس ﷺ.

(٢) كما هو تفسير الشعبي وقتادة.. انظر: تفسير القرطبي ١٩ / ١١٢.

وساقيه تيبسان فلم تستطيعا حمله ولقد كان عليهما جوالا[١].

يا لشدة الضعف، ورقة الحال، وهيئة العجز التي يصير إليها عبدٌ طالما حاول ملء الدنيا ضجيجًا وصراخًا.. فقد اجتمع عليه أمران شديدان: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه[٢].

هل من طبيبٍ هاهنا أو راقي ◆◆◆ أو هل هنا من دافعٍ أو واقي

قد أعلن الأحبابُ غايةَ عجزهم ◆◆◆ فالكلّ في هلعٍ وفي إشفاقِ

يبكون فقد حبيبهم ودّوا بأن ◆◆◆ يفدوهُ بالأرواح والأحداقِ

هيهات قد قرب الرحيل فإنهُ ◆◆◆ نزل الملائكُ من ذرى الأطباقِ

ورآهمُ حقًّا فأسلمَ روحَهُ ◆◆◆ متهيّئا لمّا دَنوا لفراقِ

الصّدرُ حشرجَ والفؤادُ بلوعةٍ ◆◆◆ والنّفس تَشربُ كأسَ موتٍ ساقي

◆ هنا يلقي آخر نظرةٍ على الدنيا..

إنه آخر يومٍ من الدنيا وأول يومٍ من الآخرة تلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله..

تلتقي شدة كرب الموت بشدة هول المطلع.. إلى أين؟ إلى أين؟

(١) كما هو تفسير الحسن البصري. تفسير القرطبي ١٩ / ١١٢.

(٢) هذا قول الضحاك وابن زيد. تفسير القرطبي ١١٢/١٩.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة: ٣٠] .. ولكن المخبت يساق إلى ربه الذي كان به في الدنيا حفيًا، وهو جاعله في الآخرة رضيًا..

ثم جري لصاحبنا المخبت في هذا الهول، والمنظر المحزن لطفٌ آخر يخفف عنه الكربة، ويلطف شدة خروج الروح من البدن.. فماذا حدث؟

المشهد الثالث

رحلة الخروج
إنه الزفاف وسعادة العروج

◆ نعيمٌ في عذاب الموت؟ هل تتصور ذلك؟

والآن وحتى لا يطول عليك الأمر.. أشِرف بهدوءٍ حتى تشاهد ما يحدث للعبد المنيب في هذه اللحظات، انظر إليه، وعاين حاله بعين البصيرة فهي أنفذ من رؤية البصر:

◆ بهاءٌ وسناءٌ.. إنها رحلةٌ في آفاق الجمال.. تلمع في بداية الترحال:

هاهو «العبد المؤمن في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبال من الآخرة»[1] وهاهي ذي ملائكة الرحمة قد نزلت إليه «**من السماء**» فما أجمل أشكالهم، وما أطيب ريحهم، فهم «بيض الوجوه.. -بيض الوجوه حتى- كأن وجوههم الشمس»؛ كأن وجوههم الشمس الصافية، أرأيت نورها وسناها؟ ألمحت كيف تسبغ على الأرض بهاءها وإشراقها، فكأنهم هي، وكأنها هم أولاء، ولكن ما هذا الذي معهم؟ يا لجمال منظره، ولنعومة

(١) هذا حديث البراء المشهور الذي رواه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١٠٧) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، والبيهقي في الشعب (٣٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٨).

مخبره، ويا لعبق رائحته...إنه «كفنٌ من أكفان الجنة، وحنوطٌ من حنوط الجنة» وهذا الكفن عبارةٌ عن «حريرةٍ بيضاء» حتى توضع الروح فيها، ولا بد من تطييبه مع طيبه، ولذا كان الحنوط مع الكفن، الكفن لباس، والحنوط عِطْرٌ حسنٌ يملأ الأنفاس، وفي زحمة الناس، أخذت ملائكة الرحمة أمكنتها.. ليت الناس الباكين حوله يشهدون عرسه.. فإن الملائكة قد جلست منه «مد البصر» «ثم» لا يتم نشط الروح إلا بوجود ملك الموت العظيم بهيبته وقوته، ولذا تنتظر الملائكة لنزول ملك الموت ليستل روحه.. هاهو ذا! هاهو «يجئ ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه»، انظر إليه، يشتد عليه الموت.. ويتألم لخروج روحه، ولكنك إذا انتقلت إلى عالم الغيب فإنك ستراه تأتيه ملائك ربه ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾ [النازعات: ٢].. طيبين مطيبين، فيبدؤون بجذب روحه برفقٍ فـ (تنشط أرواح المؤمنين) أي تُحَلُّ حلًّا رفيقًا كما ينشط العقال من يد البعير، وكما ينشط الدلو من البئر فيسل سلًا برفق، بخلاف الكافر الذي تنزع روحه نزعًا مغرقًا في النزع، وتسبح الملائكة سبحًا في إخراجها من جسده وعروقه كسبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر.[1]

ووصلت الروح الحلقوم، ثم خرجت كأطيب ما ذرأها عليه الحي القيوم.. يا للمنظر الذي حاز كل جمالٍ، وغشيه كل جلالٍ.

(١) تفسير البيضاوي ٥/ ٤٤٥.

حُلَّـــتْ برفقٍ روحُه من الجَســـدْ ◆◆◆ كالدَّلوِ ينزعُ دون ما عُنفٍ وشَدْ

أو قَطـــرةٍ مـــن قربـــةِ السِّـــقاءِ ◆◆◆ فاضـــتْ بلطفٍ دون مـــا إعياءِ

أو شَـــعْرةٍ سُـــلَّتْ مـــن العجينِ ◆◆◆ مصحوبـــةٍ برقـــةٍ ولينِ

أو كعقـــالٍ مـــن بعير قد نُشِـــطْ ◆◆◆ نشـــطًا خفيفًا لا عناءَ أو شططْ

كـــذاك روح المؤمـــنِ المُثَبَّتِ ◆◆◆ عند نزولِ المـــوتِ وقت الكربةِ

حُقَّ للمترنّم أن يقول فيه وفي الملَك المباشر الذي يصنع هذه النقلة البديعة:

إنَّ الذي أصبـــحتُ طوعَ يمينهِ ◆◆◆ إن لَمْ يَكُنْ قَـــمَرًا فليس بدونهِ

ذُلِّي له في الحبِّ مِن سُـــلْطَانهِ ◆◆◆ وسَقَامُ جِسْمِي مِن سَقَامِ جُفُونِهِ[1]

لا! بل يقال عن ملك الرحمة:

حُبِّـــي له والـــرُّوح قبـــضُ بنانِه ◆◆◆ ونَعِيمُ جِسْمِي مِنْ نعيم جُفُونِهِ[2]

◆ **استقبل تحية الخروج فرحًا جَذِلًا من عالم الفانية إلى عالم الباقية:**

◆ **وتأمل أي حبيباه:**

تأمـل وانظـر إليـه، حيـث تنهـال عليـه التحيـات العطـرة علـى ثلاثـة أشـكالٍ، اسـتمع

(١) لابن الفرضي القرطبي. سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٠.

(٢) عددٌ من هذه الاستدراكات البديعة مستفادٌ من عددٍ من شيوخنا ممن راجع الكتاب جزاهم الله خيرًا.

إلى حُدَاء الملائكة وهي تحييه عند خروج روحه، ترتل تحاياها له ليشرق له عالم الخلود، ويظهر له النعيم المقيم:

◆ **التحية الأولى:** من الله الجليل الكبير المتعال الذي جعل للمؤمنين ودًا، فقد أفاض على عبده هذا حبًّا وسعدًا؛ إذ ما إن خرجت روحه من جسده حتى كان النداء الإلهي:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

يا أيتها النفس المطمئنة: المؤمنة الساكنة الموقنة، التي أيقنت أنَّ الله ربها العلي الوهاب، فأخبتت لذلك، واطمأنت بإيمانها وبما سيأتيها من وعد حقٍ وثواب..

يا أيتها النفس المطمئنة «التي اطمأنت إلى وعد الله ﷻ الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا من الكرامة في الآخرة، فصدَّقت بذلك»[1] .. الراضية بقضاء الله ﷻ التي علمت أنَّ ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأنَّ ما أصابها لم يكن ليخطئها.. فـ«اطمأنت النفس إلى الله تعالى. اطمأنت إلى كنفه».

يا أيتها النفس المطمئنة: المخلصة الآمنة من عذاب الله، التي اطمأنت لأنها بشرت بالجنة عند الموت، وعند البعث، ويوم الجمع..

يا أيتها النفس المطمئنة: العارفة بربها التي لا تصبر عنه طرفة عينٍ، المطمئنة

(١) تفسير الطبري ٢٤/٣٩٣.

بذكره تعالى في غفلةٍ من الثقلين، فالذين آمنوا تطمئن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨][1].. فتطيب لمرآهم كل عين.

إنَّ لحظة يطرق النفس هذا النِّداء الرباني النَّدي لهي لحظة لا تضاهى سكينة وطمأنينة وحبورًا، ولا توازيها غيرها سعادة وسرورًا.. لحظة مهيبة تشع قداسة ونورًا.. حيث يشعر العبد بدفء الربوبية الغامر.. دفء يشعره بقدومه على مستقبل أخروي زاهر باهر.

◆ **التحية الثانية:** من ملك الموت: «فيقول» عند خروج الروح الطاهرة -كما يخبر الحبيب المصطفى ﷺ:

«أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان»..

الله! الله! يا لصوت البشرى والنعيم والحنان، ويكرر النداء حبًّا:

«يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضيةً مرضية مرضيًا عنك».

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٧، الروح، ص: ٩٣، وقال: وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين: إن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا، يبشرها الملك بذلك.. ولا ينافي ذلك قول من قال: إن هذا يقال لها في الآخرة.. فانه يقال لها عند الموت، وعند البعث، وعند دخول الجنة.. وهذه من البشرى التي قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].. وهذا التنزل يكون عند الموت، ويكون في القبر، ويكون عند البعث، وأول بشارة الآخرة عند الموت.

◆ **التحية الثالثة:** من الملائكة، من ملائك الرحمة حوله، إذ يبدؤون تلك الروح الطيبة بالسلام فيقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ [الزمر: ٧٣] .. سلام.. وهل للمرء شيءٌ أحب إليه من أن يسمع أنه في سلامٍ، وسيصير إلى سلام..

سلامهم كترانيم عذبة تسكب في القلب سحرًا من الطمأنينة، أو كألحان تتدفق نهرًا من الأمان.. تنسج بسلامها زغاريد الفرح والسعادة، وتزف إليه أخبار الفوز والريادة.. هاهي تفرد أجنحتها لتبث السلام في الأنحاء، ولتنقل صاحبنا إلى عالم مغمور بالبهاء والسناء.

أَوَلَا توقد مشعل عزمك أيها المقدام.. لمصيرٍ كمصير هذا الهمام؟ ثم يرتلون له أنشودة الاستقبال العذبة:

«اخرجي راضيةً مرضيًّا عنك إلى روح وريحان، ورب غير غضبان»

ولا ينسى هؤلاء الطيبون المطيبون من الملائكة أن يهنئوا المؤمن فور خروج روحه بحصوله على جائزة النجاح في اختبار الدنيا: الجنة.. فإن المؤمنين تتوفاهم الملائكة ﴿طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢].. نعم! إنَّها الجنَّة في كلِّ لحظةٍ ينبغي أن يُذَكَّر المؤمن المخبت بسلعة الله الغالية.. «فيا عجبًا ممن آثر الحظ الفاني الخسيس على الحظ الباقي النفيس، وباع جنَّةً

عرضها الأرض والسموات بسجنٍ ضيقٍ بين أرباب صغار الأمنيات»[١].

ثم تعلن ملائك الرَّحمة الثناء العطر لهذا العبد الفائز على الملأ: «**فيقولون: ما وجدنا ريحًا أطيب من هذا**».

ثم يقولون: أيُّها الراحل عن الدنيا، المقبل إلى الدرجات العليا: سلامٌ لك.. سلامٌ لك فعسى أن تكون من السابقين المقرَّبين أهل الجلال والتكريم.. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٩]، أو أقلُّ أحوالك أن تكون من أصحاب اليمين.. من الأبرار المخبتين: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة: ٩١].. «فسلامٌ لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين»[٢].

إنَّه مقام التكريم الذي تهفو إليه النفوس التواقة، والقلوب المشتاقة..

كم هو حجم شوقك له أيها المتيم؟

يا مقام التكريم والبشائر.. يا محل الآمال والمكرمات:

أحبك لا تفسير عندي لصبوتي ... أُفسِّرُ ماذا.. والهوى لا يُفَسَّرُ

وتأبى جراحي أن تضم شفاهها ... كأنَّ جراح الحب لا تَتَخَثَّرُ

(١) حادي الأرواح، ص: ٦ بتصرف.

(٢) حادي الأرواح، ص: ٩٦.

لا! ذلك قليلٌ يا محلَّ المكرمات.. بل أناجيك بحرارة قلبي لا بفصاحة بياني العاجز:

أحب لقاء الله لستُ مُفَسِّرً ... أفسر ماذا؟ حبه لا يُفَسَّرُ

ويأبى بياني أن يفيض مُعَبِّرً ... لأن عميق الحب ليس يُعَبَّرُ

الملائكة تتنافس على حمل الروح الطاهرة.. من يريد صورةً تذكارية؟!

لا تبعدن عنه أيا حبيباه واخترق حجب الغيب ببصيرة النبوة، وانظر إليه تخرج روحه، فكيف هي ريحه؟ إنه «يخرج كأطيب ريح المسك» إلى الملائكة الأطهار الطيبين، ومن لطف خروجها وعدم نزعها تخرج «تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء» وذلك على يد ملك الموت، ويقوم ملك الموت يسلها «كما تسل الشعرة من العجين»، «فيأخذها»، ولكن لغيرة ملائكة الرحمة عليها، وحنوهم الفياض الواصل منهم إليها، يأخذونها من يد ملك الموت فور أن يتم عمله بإخراجها من جسدها، إذ إنه لما «أخذها» لكأن ملائكة الرحمة غارت وتسابقت فـ «لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها».. هل تلاحظ هذا الشغف الملائكي بهذه الروح الطاهرة الزكية.. والنفس المؤمنة التقية.. المتوهجة بالنور.. تتسابق أطياف الملائكة لحملها، واحتضانها واحتوائها.. أي لوحة فنية نورانية هذه تأسر العقول والقلوب؟ إنه سباق سماوي رائع يتجلى فيه التنافس في أبهى صوره.. لكأني بالملائكة ترفرف بأجنحتها طربًا وفرحًا وبهجة بهذه الروح المتألقة..

تَنَعَّمْ وأنت تنظر إليهم يبتدرونه، كأنَّ الكلَّ يحبُّ أن يتشرف بمسِّ روحه الطاهرة.. وبالكلام البلدي البشري الصادق أقول لك: تراهم كأن كل واحدٍ منهم يود أن لو كان له تذكارٌ مع روحه الطيبة، ومن تنافسهم على ذلك يصطلحون على شيءٍ يجعل جميعهم يشرف بمس روحه؛ إذ «يناوله بعضهم بعضًا».. أتفرح من حسن المشهد، أم تبكي شوقًا له؟

ولا غرور فهؤلاء الملائكة هم المقصودون بوسم: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤﴾ [النازعات: ٤].. الذين يسبقون بأرواح المؤمنين إلى الجنة، وهم: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ [النازعات: ٥] الذين يدبرون أمر ثوابها بأن يهيئوها لإدراك ما أعد لها من اللذات[١].

الملائكة توصي بعضها بالرفق بك.. يا للشوق إلى دفء هذا الحنان!

وبعد أن يناوله بعضهم بعضًا ينقلونها من أيديهم لـ«يجعلوها في كفن من أكفان الجنة [في حريرة بيضاء] [من مسك ومن ضبائر[٢] الريحان]»، كما يخلطونها بـ«حنوط من حنوط الجنة»، ولربما وضعوها في الكفن وطيبوها من الحنوط قبل ذلك.. ثم «طويت عليه الحريرة ثم يبعث بها إلى عليين»، وعند ذلك يكلم

(١) انظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٤٤٥، على أحد التفسيرات..والكلام هنا عن الأرواح المؤمنة وإلا فالصفات السابقة تنطبق على ما تفعله الملائكة للكفار ولكن بالعكس.

(٢) الضبائر جمع ضبارة بِفَتْح ضاد وَكسرهَا وكل مُجْتَمع ضبارة، وكل شَيْء جمعته وضممت بعضه إِلَى بعض فقد ضبرته. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/٣٩٥.

ملائكة الرحمة بعضهم بعضًا حنانًا وإشفاقًا على صاحبهم الحبيب، وحبًا لروحه الطيبة.. وعمله الصالح المنيب «فيقولون: ارفقوا به فإنه خرج من غم الدنيا»..

إنهم يحيطون هذه الروح بعناية خاصة فائقة، ورعاية مميزة، كما يحيط أحدهم تحفته المميزة بحدب زائد، وحفظ يبلغ حد الهيام والغيرة من أن تمس بأدنى ضرر..

فللَّه موقفٌ تنهال فيه عبارات الحب، وتراتيل الود من الملائكة على هذه الروح

إنه لسان صدقٍ يتبوؤه الإنسان في الآخرين... يا رب ألحقنا بذلك برحمتك يا أرحم الراحمين.

لئن كانت نفس الكافر والمجرم تنأى الملائكة عن حملها، وتنفر عن سلها، وتأنف أن ترقى بها إلى السماء حيث يقول ملك الموت لمن حوله من الملائكة: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝٢٧﴾ [القيامة: ٢٧].. أي من يرقى بهذه النفس، وذلك أن نفس الكافر تكره الملائكة قربها فيقول ملك الموت: يا فلان اصعد بها[1].. فيُحتم عليه ملك الموت أن يصعد بها، وإلا فالكل راغبٌ عنها، لا يريد أن يحملها يتباعد عنها وكأن لسان حاله يقول له:

(١) تفسير القرطبي ١١٢/١٩، وهذا هو التفسير الثالث للآية فـ(راق) هنا من رقي يرقى إذا صعد كما جاء عن ابن عباس أيضا وأبي الجوزاء.

إليك عنَّـــا فما تحظـــى بنجوانا ◆◆◆ يا غـــادرًا قد لَها عنَّـــا وقد خانا

بأيِّ وجـــه نراك اليـــوم تقصدنا ◆◆◆ وطالما كنت في الأيام تنســـانا

يا ناقض العهد مـــا في وصلنا طمع ◆◆◆ إلا لمجتهد بالجدّ قـــد دانا[1]

يـا أسـير دنيـاه، يـا عبـد هـواه، يـا موطـن الخطايـا، ويـا مسـتودع الرزايـا، اذكـر مـا قدّمـت يـداك، وكـن خائفـا مـن سـيدك ومـولاك أن يطّلـع علـى باطـن زللـك وجفـاك، فيصـدك عـن بابـه، ويبعـدك عـن جنابـه، ويمنعـك عـن مرافقـة أحبابـه، فتقـع فـي حضـرة الخـذلان، وتتقيـد بشـرك الخسـران.

أما نفس صاحبنا المخبت فإن الملائكة تتنافس عليها، حتى يتناقلوها فيما بينهم..

تصوَّرْ ذلك المشهد البديع!

كلٌّ يريد أن يرتشف من طهر نفسك المؤمنة..

كل ملـكٍ يحـب أن يلتمـس الشـرف بمصاحبـة نفسـك الطاهـرة، وليـس ذلـك لمـالٍ تملكـه، أو لجبـروتٍ تقمـع بـه النفـوس.. كلا! بـل حبًّـا ورغبـةً، لهفـةً وشـوقًا..آه.. تعـس مُلْـكُ الدنيـا! تعـس وانتكـس.. هنيئًـا.. هنيئًـا لصاحـبٍ يغـدو فـي هـذا المشـهد..

(١) بحر الدموع لابن الجوزي، ص: ١٣.

العروج إلى السماء.. زفافٌ جديد:

ولأنَّ روحه خرجت طيبةً مطيبةً من جسده، ثم طيبت أكثر بوضعها في تلك الحريرة الناعمة الرائعة من «ذلك الكفن»، وزاد طيبها شذًا وعبيرًا بوضعها «في ذلك الحنوط» فإن رحلة العروج إلى السماء قد بدأت.. إذ يعلن النبي ﷺ أنه «يبعث بها إلى عليين» بعد ذلك.

طابت بذكر حديثه الأنفاسُ ◆◆◆ وتعطرت بأريجه الجُلَّاسُ

وازدانت الدنيا بطلعة وجهه ◆◆◆ واستبشرت بقدومه الأقداسُ

روحي فداه له فيا لرفعة شأنه ◆◆◆ فحياته ومماته أعراسُ[1]

تابعه أيا حبيباه! لا تطرف عينك عنه فهاهو ذا -كما يصف النبي ﷺ: «يخرج منها» يخرج من الأرض «كأطيب نفحةٍ مسكٍ وجدت على وجه الأرض».

وفي الطريق إلى السماء، ترتفع رايات الفرح والحب من الملائك الذين بين السماء والأرض وهم يشمون الرائحة الفيحاء قد ملأت عليهم الأرجاء، وانبعثت بها الأخبار حتى امتلأت بها الأصداء.. فيا لهذا العرس..

◆ **تأمل واهتف معي: اللهم فاجعلنا ممن ينالون شرف هذا اللقاء..**

إن كان المقدَّمون من أهل الرياسات في الدنيا تقام لهم التشريفات، وتقدم بين

(١) الأبيات للدكتور: سعيد بن دحباج -وفقه الله-.

يدي قدومهم التحيات بألطف العبارات، فإنَّ ما يُلقَّاه عبد الله من تشريف وتحايا يفوق الخيال، ولا يخطر على بال.. فالمستقبلون هم ملائكة الله الكرام، فأين بربك الثرى من الثريا، والتي من اللتيا.

يصف الشفيع المرتجى ﷺ صعود الملائكة بها فيقول: «يصعد» الملائكة «بها»، يصعدون بالروح الطيبة «فلا يمرون - بها- على ملأٍ من الملائكة إلا» أثارت من التساؤلات المتلهفة عن هذه الروح الطيبة التي صعدت وفارقت غم الدنيا بنجاحٍ، تصور تساؤلات الملائك حوله عنه كيف توحي بعظمته، ومكانته عند ربك، هاهي الملائكة تتساءل بلهفةٍ في كل موطنٍ تمر منه الروح الطيبة.

يا لمهابة الموكب الصاعد!.. يا لكرامة السعيد الوافد!.. يا لفوز ذاكم الشريف الماجد والعبد الراكع الساجد!.. قد رفعت بساحته رايات السعود.. وتحقق له كل غرض ومقصود، ونال ما يرجوه من الحميد المحمود..

◆ انقسم الملائكة الذين يزفونك إلى قسمين:

● فقسمٌ هم المدبرون للأمر بين السماء والأرض يقولون في تساؤلاتهم: انظروا.. هذه «روحٌ طيبةٌ جاءت من قبل الأرض»، ولا يقفون عند ذاك حتى يبادروا روحك بالدعاء الكريم لها حيث تقول ملائكة السماء:

«صَلَّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ»[1]..

(١) هذا الدعاء العذب الزكي عند مسلم (٢٨٧٢).

يا لهذا الدعاء الطاهر!.. ما أحلى كلماته!.. لقد كان هذا الدعاء الطاهر من الفم الطاهر كافيًا.. ربِّ ومولاي: اجعلنا من أصحابه..

ثم يحب أفراد هذا القسم من ملائكة السماء أن يتعرفوا شخصيًّا على الحبيب القادم من الأرض فيطرحون السؤال على مرافقيه من ملائكة الرحمة، وعلى العارفين من ملائك السماء.. يطرحون سؤالهم: «ما هذا الروح الطيب»؟

ولقوة الشذا الذي ينبعث من رائحتها يسألون متعجبين عما لبست وتعطرت حتى صارت بهذه القوة من النفاذ ففي رواية لابن حبان: «ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من الأرض؟» يسألون عن الريح وهم يريدون الروح، فإذا كانت رائحته قد ملأت الأرجاء، فكيف بالروح التي انبعثت منها تلك الريح الفيحاء؟

● **وأما القسم الثاني فهم من يزف الروح الطيبة إلى مكانها الموعود في السماء**، ومعهم من يعلم عن هذه الروح الطيبة بين الملائكة الموكلين بالأمر بين السماء والأرض يجيبون.. هذا فريق خاص من الملائكة الطيبين المطيبين قد تفرغوا بكليتهم لزفافك، وطاقم متكامل من الملأ الأعلى قد شغلوا بالعناية الخاصة بك.. أي أبهة تلك، وأي مقام محمود مرموق قد ارتقيت.. بخٍ بخٍ

تصوَّرِ التساؤلات والإجابات تصدر همسًا وجهرًا عنك وأنت تُزَف!.. يجيب من يعلم من الملائكة «فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها

في الدنيا» نعم! في هذه اللحظات تصور أن الملائكة تقول عنك وتسميك بأحب أسمائك إليك، ويتبادلون الحديث إشادةً بك وثناءً عليك، تصور وهم يطلبون لك أجمل الألقاب، ويفخمونك بأعظم الأوصاف حتى يعلم عنك من لا يعلم..

◆ **أيا حبيباه: هذا المشهد المرتقب ولا ألقاب الدنيا، وهذه الفخامة ولا فخامة الدنيا..**

هذي المكارمُ لا قَعْبانِ منْ لبنٍ ◆◆◆ شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أَبْوالا[1]

◆ **أيها المخبت الأواب: كبار الملائكة ينضمون لتشييع روحك في زفافها:**

وتظل الملائكة تشيع روحه الطاهرة «حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا» ويقفون أمام «أبواب السماء» فهنا بوابة الدخول إلى عالم الملأ الأعلى، مبتعدًا عن طين الأرض وسفاسفها، تصور عظمته.. وتصور في مقابل ذلك شوقك ولهفتك.. لا! بل تصور فيض المسرات، ومباهج الروح، وأنس اللقاء بالملأ الأعلى في تلكم الدرجات.

ثم تقوم الملائكة التي تشيعك بالاستئذان لك لتفتح السماء أبوابها.. أيا صاحب القلب المنيب: «فيستفتحون» لك الأبواب فمن ذا يمنعك من الدخول؟

عندها تُعاد التحايا العطرة فتقول ملائك السماء: «ما وجدنا ريحًا أطيب من

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت، وقيل لغيره، وذُكر في ديوانه، ص: ١٧٩، ضمن ما نسب إليه وإلى غيره.

هـذه»، ثـم تنطلـق الملائـك لتفتـح لـك مُرَحِبَـةً محييـةً «فيفتـح لهـم»، وأثنـاء الفتـح تسـمع الثنـاء عليـك مجـددًا مـن مسـتقبليك؛ إذ يقـول ملائـك السـماء الدنيـا: «مـا أطيـب هـذا الريـح التـي جاءتكـم مـن الأرض..»، ويتقـدم كبـار الـملأ مـن ملائـك السـماء الدنيـا، ومقربوهـا لتحيتـك ثـم ينضمـون إلـى مراسـم التشـييع البهيجـة، ومعالـم الزفـاف السـعيدة، وبـذا «يشـيعه مـن كل سـماءٍ مقربوهـا إلـى السـماء التـي تليهـا».. هـؤلاء كبـار الوفـد المرحـب ينضمـون إلـى ركـب المسـتقبلين، وينخرطـون فـي سـلك المشـيعين.. إنـه عـرس بـكل مـا تعنيـه الكلمـة.. بـل هـو عـرس الأعـراس.. فيـا لفـوز النجبـاء الأكيـاس، ويـا خسـارة مـن خـاب سـعيه وخـاس.. وهكـذا تتنقـل مـن سـماءٍ إلـى سـماء، ومراسـم الإجلال تحيـط بـك مـن كل جانـبٍ، ولحظـات الفـرح تعتريـك مـن كل حـدبٍ.. وأجمـل الملائكـة، وأشـرفهم ينضمـون إلـى موكبـك ليكونـوا خدمًـا لـك، وجنـودًا فـي صفوفـك.. وفـي كل مـرةٍ عنـد كل سـماءٍ.. وفـي كل سـماءٍ تتكـرر التحايـا والتهانـي والثنـاء العطـر، فـ «لا يأتـون سـماءً إلا قالـوا مثـل ذلـك حتـى يأتـوا بـه أرواح المؤمنيـن»..

هـل رأيـت خساسـة الدنيـا الآن، وعلمـت خـداع مظاهرهـا، وزيـف احتشـاد النـاس مـع الدنيوييـن رغبًـا ورهبًـا.

يا موكبًـا قد فـاضَ بالرَّحماتِ ... وتفوحُ منه أطايبُ النَّسـماتِ

يا موكبًا قد شـيَّع الـروحَ التي ... زُفَّت وسـامَت أرفعَ الدرجاتِ

يـــا موكبًا مـــا قد ســـمعنا مثلهُ ◆◆◆ للـــروح روح مقـــدم القرباتِ

روح المنيـــب لربه فـــي عمر ◆◆◆ من يُســـبلُ الدمعات في الخلواتِ

روح التقـــي الخاضع العبد الذي ◆◆◆ صرف الحيـــاة بأوجه الطاعاتِ

هو موكبٌ الإينـــاسِ للروح التي ◆◆◆ رقَّـــت بطيب نوافـــح الجناتِ

فهنـــاك أجملُ راحةٍ بعـــد العناء ◆◆◆ بعد الكروبِ بعالم الحســـراتِ

وهنـــاك عليين موطنهـــا الذي ◆◆◆ حلَّتهُ بعد مصارع السَّـــكراتِ

هو موكـــبٌ قد زانه نور الســـماء ◆◆◆ وأحاطـــه الأملاك بالصلواتِ

للـــروحِ أبواب الســـماء تفتّحت ◆◆◆ بالبشـــر والترحاب والدعواتِ

لقاءٌ رائعٌ بأبيك آدم.. وسعادة وابتهاج مستحكم:

وهنـاك فـي السـماء الدنيـا لربمـا ذكـر المخبـت المنيـب آدم أبـا البشـر عليه السلام، إذ طالمـا بلغـه مـن النبـي ﷺ أن آدم كان ينظـر إليـه مبتهجًـا بـه وبمـن معـه مـن الأرواح المخبتـة المؤمنـة..

نعـم! آدم عليه السلام صَـوَّرَ لنـا النبـي ﷺ مشـهده هنـاك قاعـدًا فـي السـماء الدنيـا وهـو يـرى **«علـى يمينـه أَسْـوِدة، وعلـى يسـاره أَسْـوِدة، إذا نظـر قبـل يمينـه ضحـك، وإذا نظـر قبـل شـماله بكـى.. وهـذه الأَسْـوِدة عـن يمينـه، وعـن شـماله نسـم بنيـه.. فأهـل اليميـن منهـم أهـل الجنـة، والأَسْـوِدة التـي عـن شـماله أهـل النـار، فـإذا نظـر عـن**

يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى»[1].

لقد فرح بك آدم عليه السلام منذ القدم، ويتجدد فرحه بك الآن حينما اكتمل فضل الله عليك وتم، كيف لا والوالد أفرح ما يكون بولده إن بلغ القمم.

اجتماعٌ مع المخبتين من المؤمنين في السماء:

◆ هل تحلم بزيارةٍ سريعةٍ لأعزِّ الأصدقاء الذين خرجوا قبلك من الدنيا؟

في أثناء عروجه بين السَّمَوَات تقوم الملائك بنقله إلى المكان الذي تقيم فيه «أرواح المؤمنين»، وذلك حتى يزيد بشره وسروره، ويتضاعف حبوره...زَفَّته الملائك إلى أرواح المؤمنين حيث وجد أَعَزَّ أصدقائه الذين سبقوه بالخروج من دار الدنيا، وكان قد تعاهد وإياهم على الثبات على الدين، وطلب اليقين..

أخي إن تَغَشَّتْنا بزخرفها الدُّنا ◆◆◆ وإن قَعَدَتْ بِنا القوى والعزائمُ

ذكرناك.. فالعهد القديم مُوَثَّقٌ ◆◆◆ وميعادُنا أن نلتقي بك قائمُ

تتلاقى أرواح المؤمنين، حيث النعيم المقيم، والوصال الدائم الطاهر الحميم، ولقد وصفها رسول الله ﷺ صفةً أبكت أهل البيت فقال:

«إن أرواح المؤمنين في حواصل طيرٍ خضرٍ ترعى في الجنة، وتأكل من

(١) ورد ذلك في حديث الإسراء الطويل.. انظر: البخاري(٣٤٩)، والأسودة: جمع لسواد الشخص أي ظله ومنظره من بعيد.

ثمارها، وتشرب من مائها، وتأوي إلى قناديل من ذهبٍ تحت العرش يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا، وآتنا ما وعدتنا»[١] .. ألا يُبْكينا ويُشْجينا قولهم: «ربنا ألحق بنا إخواننا، وآتنا ما وعدتنا»؟

هاهو ذا النبي ﷺ يبشرك بذلك، فيقول: **«إن أرواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يومٍ، ما رأى أحدُهم صاحبَه قطُّ»**[٢].

◆ فخذه هنيئًا مريئًا فقد طال الاشتياق لصحبٍ سبقوا.. فيا لذة العناق حين ملاقاة الصحب الصادقين من الرفاق.

أُخْذِت الروح الطاهرة المخبتة إلى هناك حيث أرواح المؤمنين والتقت مع أحبتها، وانتقلت بين أفنان الجنان، وطابت الحياة -التي لا يعلم كنهها إلا رب العباد- في جوٍ من الحنان، والتقى المخبت الأواب، بكل حبيبٍ من الأصحاب، قد سبقه إلى خير مآب.. فطوبى لمن حَسُنَ دينُه وجاء ربه بخير متاب.

وقُوبِلَ هناك -في مجتمع أرواح المؤمنين- باستقبالٍ حافلٍ ممن كان يعرفه ومن لا يعرفه فإذا رآهم قبل ذلك اطمأنَّ قلبه بهم عند معاينة الأهوال.. وهم عندما يرونه.. تراهم -كما يصف الحبيب المجتبى ﷺ تراهم «أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه

(١) الحديث جاءت ألفاظه مروية في عدة كتب.. ولكن الرواية المجتمعة هنا عند ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد (٢٠١).

(٢) أحمد (٦٦٣٦)، وقال محققو المسند: «حديث حسن، ابن لهيعة قد توبع».

يقدم عليه» أشد فرحًا به إذ نجح في امتحانه الدنيوي، واجتازه بتوفيقٍ من الله ورضوانٍ، وانضمَّ إلى زمرة البِشر والسرور، والنعيم والحبور، في جوار ربٍ ودودٍ غفور، استقبلوه فيا حسن ذاك الاستقبال.

وحدث لصاحبنا من الترحاب، وحرارة اللقاء مع «أهل الرحمة من عباد الله»[1] ما يحدث لنا حين نلقى «البشير في الدنيا».. وأراد قومٌ منهم أن يبتدروه بالسؤال عن أصحابهم وأخلائهم في الدنيا، فيبتدر بعضهم من محبيه ممن شعر أنّ فراق الدنيا وغمّها جديرٌ بأن يتنهد له الإنسان فرحًا وحبورًا، ويأخذ راحةً تجعله يلهج بالحمد والتسبيح كثيرًا «فيقولون: أَنْظِرُوا صاحبكم -أَخِّرُوه وأمهلوه-يستريح فإنه قد كان في كربٍ شديد»..

ولكن بعضهم كان قلقًا على أخيه وحبيبه من أهل الدنيا، ويريد أن يَعْرِفَ ويطمئن: هل مات على الهدى والدين؟ أم بقي في الدنيا على النور واليقين؟ أم كان من الأرذلين.. لذا يبادره بعضهم «فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ [ما فعلت فلانة]»

«ثم» تبدأ الأسئلة المتلهفة تُوَجَّه إليه فـ «يسألونه [فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الأرض]: ماذا فعل فلان؟ وما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟».

يكررون الاسم لهفًا وإشفاقًا، ويسألون عن أحبتهم كلفًا واشتياقًا، ويكثرون عليه:

(١) الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي (٤٤٣)، والطبراني في الكبير (٣٨٨٧) والأوسط (١٤٨).

فواحدٌ من هنا، وآخر من هناك..

يا لله لهذا المشهد البديع! أَدِرْ دمع الوفاء الصادق المدرار، وقل رحم الله أبا الدرداء ﷺ المخبت المذكِّر الذكَّار الشكَّار، فما أكثر ما كان يقول بعد أن مات صديقه الحبيب ابن رواحة ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن تعرض على أخي عبد الله بن رواحة من عملي ما يُسْتَحيا منه»[1] .. ولذا تلهفتْ بعض الأرواح المؤمنة في السؤال عن أحبابهم ممن خلفوهم في الدنيا..

دعوه فإنه كان في غَمِّ الدنيا.. افرحوا بمرتبته العليا:

ولكن بقية المؤمنين لا يستحلون أن يُسأل صاحبنا المنيب عن أمور الدنيا، وهو قد خرج لتوه من غَمِّها، بل يطلبون من بقية الأرواح المتلهفة على أصحابها أن تَكُفَّ عن طرح الأسئلة، وتصبر حتى يرتاح العبد المنيب «فيقولون: دعوه فإنه كان في غَمِّ الدنيا».

نعم! دعوه.. فإنه لم يكد يتخلص من غَمِّ الدنيا وهَمِّها ونَصَبِها ولأوائها وسمومها، وغدر أهلها، وشر فجارها..

دعوه.. حتى يأخذ نَفَسًا عميقًا ليرى ما حوله من بهاءٍ، وصفاءٍ..

دعوه حتى يشعر بأن ربه قد حقق له كل رجاء..

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٩٣/٤٧.

يا لذيَّاك الحنان.. ألا ترفع يديك يا عابدًا في الليالي.. فتقول: اللهم فبلغني ذاك المحل العالي.

ولكن صاحبنا المخبت المنيب يجد من روح الملأ الأعلى، ونعيم الأبد ما يجعله بعد ذلك يستجيب، فيخبرهم عما سألوه عنه، فإن كان المسؤول عنه حيًّا أخبرهم بخبره.. «فإذا قال: تركت فلانًا في الدنيا أعجبهم ذلك»، ولكن «إذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: هيهات قد مات ذاك قبلي؟ فيقولون: [ما جيء به إلينا]» ويضيفون بألم -: «إنا لله وإنا إليه راجعون.. ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربية»[1].. نعم! فبئست الأم، وبئست المربية..

◆ أيها البررة الفائزون:

وفي ذلك المجمع الذي ضمَّ أرواحكم الطاهرة.. هناك تعرض أعمال إخوانكم من الأحياء «على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة، فإن كان خيرًا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتمم نعمتك عليه، وأَمِتْهُ عليها، ويعرض عليهم

(١) هذا الحديث فيه تفصيل لما ثبت عند النسائي (١٨٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٧٢٩)، وابن حبان بترتيب ابن بلبان(٣٠١٤)، وصححه الأرناؤوط من تلقي الأرواح المؤمنة للميت، فالأصل قد ثبت صحيحًا، والزيادة المفصلة رواها الحاكم ط الرسالة (٤٠١٢)، وقال: مرسلٌ صحيح، وكذا أوردها الطبراني في الأوسط (١٤٨)، وأما عدم تصحيح صاحب العلل المتناهية له ٢/ ٤٢٩ رقم (١٥٢٢) فراجعٌ إلى السند الذي ساقه، ومثله ما ذكره في مجمع الزوائد٢/٣٢٧ رقم (٣٩٣١) على أن الزيادة التفصيلية أوردناها كما وعظ بها الحسن البصري في رواية الحاكم موقوفةً عليه. والحديث المجمل الذي ثبت يوحي بالتفصيل الذي هو محل نظرٍ في الثبوت.

عمل المسيء فيقولون: اللهم ألهمه عملًا صالحًا ترضى به عنه، وتقربه إليك»[١]..

إنَّهم يدعون لأهل الدنيا بعد أن أكرمهم الله، فيا لشدة الصفاء والمحبة، يدعون فيقولون: «اللهُمَّ لَا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا»[٢].

◆ أيها القانت الأواب:

ألا تُعِدُّ لهذا الاجتماع الرحيب صيامًا.. أما تُعِدُّ له قنوتًا وثباتًا وقيامًا.. لكم كان المختبون من صحابة النبي ﷺ يذكرون هذا الاجتماع، ويطلبون من المحتضرين أن يبلغوا أصحابهم السابقين بنبأ ثباتهم على الهدى واليقين، اشتاق الصالحون من قبلُ للسلام على من سبقهم إلى ربهم من المخلصين، فعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: لما حضرت كعبا الوفاة أتته أم بشر بنت البراء بن معرور فقالت يا أبا عبد الرحمن! إن لقيت فلانًا فاقرأ عليه مني السلام. قال: غفر الله لك يا أم بشر نحن أشغل من ذلك.. قالت: يا أبا عبد الرحمن أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة [حتى يردها الله إلى أجسادها يوم القيامة]» قال: بلى! قالت: فهو ذاك[٣] إنه شوق الأحبة

(١) الطبراني في الكبير (٣٨٨٧) والأوسط (١٤٨)، وانظر: مجمع الزوائد٢/٣٢٧.

(٢) أحمد (١٢٦٨٣)، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف، كما ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٦٣) وفي ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١٣٩٦).

(٣) ( ) ابن ماجه (١٤٤٩) وضعفه الألباني، وقال الأناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف.. وحديث تعلق أرواح المؤمنين بشجر الجنة صحيح. انظر: ترتيب صحيح الجامع الصغير٤/ ٢٠٢.

لأحبابهم في الدين، وسبيل الله المبين:

نعمْ هاجتِ الأطلالُ شوقًا كفى به ◆◆◆ مِنَ الشَّوق إلَّا أنهُ غيرُ ظاهرِ

فما زلتُ أطوي النَّفسَ حتى كأنَّها ◆◆◆ بذي الرِّمْثِ لم تخطُرْ على بالِ ذاكرِ

حياءً وإشفاقًا من الرَّكْبِ أنْ يرو ◆◆◆ دليلًا على مستودعاتِ السَّرائرِ[1]

وبعد قضاء لقاءٍ ممتعٍ مع المؤمنين، وتبادل التهاني بالنجاة والفوز في الاختبار الحقيقي المبين.. تستمر مراسم التشييع إلى السَّمَوَات العلى.

◆ أبشر بخير يومٍ مَرَّ عليك:

صك الرضوان.. وشهادة الغفران.. ونعيم الفوز العظيم.. يأمرُ بإبرامه الرحمن:

وتستمرُّ مراسم التشييع البهيجة تنقله من سماءٍ إلى سماءٍ «حتى» يرقى به كبار الملائكة المقرَّبين «إلى السماء السابعة» هناك يمرُّ عليه خير يومٍ مذ ولدته أمه، هناك يعلن المرسوم الإلهي بتعيينه في زمرة الأصفياء المقربين..

◆ أيا خاطب الجنة:

لا تغمض بصيرة عينيك! وتصوَّرْ معي أيها الحبيب هذا المشهد واملأ به قلبك وأذنيك، هناك «يقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين»..

عندها رأيتَ وسمعتَ.. نعم! رأيتَ وسمعتَ.. رأيتَ وسمعتَ كيف خُتِمَ على

(١) ديوان ذي الرمة - بشرح أبي نصر الباهلي ١٦٦٩/٣.

كتاب سعادته الأبدية، فقد كُتِبَ كتابه مع السابقين.. ومنادي الحقِّ ينادي:

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطففين: ١٨]..

فأعماله معهم -كما يقول الحبيب المختار ﷺ «في كتاب الله في السماء» دون ارتيابٍ، وقد أتى الملائكة كتابٌ من الله ﷻ مختومٌ بأمانه من العذاب.. هنا قد ختم على قرار فوزك بطابع الربوبية، وعلى صك نجاتك بمرسوم الألوهية.. تحققتَ الفلاح، واستيقنتَ النجاح.. فما ثم إلا الفضائل والأرباح..

وهكذا قُبِضَتْ روحه مَبَشَّرةً طيبةً مُطَيبةً، وصُعِدَ بها إلى الملأ الأعلى، وفتحت لها أبواب السماء، وتلقتها الملائكة بالبشرى، ثم خرجوا معها، وشهدها المقرَّبون من الملائك في كل سماءٍ، حتى ينتهوا بها إلى العرش، وهناك حلَّ عليه الرضوان، وجاءه الرَّوح والرَّيحان، فأُخْرِجَ له من تحت العرش عليون

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾ [المطففين: ١٩]؟!..

واشوقاه لعِلِّيين حيث الشرف الأسمى، وسجل الكرامة الأعظم!

◆ أتدري ما عِلِّيون؟ أتدري ما فخامته وعظمته؟ أتعلم منزلته الرفيعة؟

إنه رِقٌ -كتابٌ- مُعَلَّقٌ بالعرش أُرْقِمَ وخُتِمَ لصاحبنا المنيب فيه بالنجاة من الحساب يوم الحساب، وشهده المقربون، أكابر الملائكة والملأ الأعلى يشهدون، ماذا يريد العبد من نعيمٍ وعظمةٍ وعُلوٍ فوق ذلك؟ إن كتابه وصك نجاته، وشهادة

تفوقه، وَوَسْمَ نجاحه.. «﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠﴾[المطففين: ٢٠]، وليس مجرد أمرٍ غير مكتوبٍ، بل هو مرقومٌ تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابةً حقيقيةً، يُكْتَبُ له، ويوقع له به بمشهد المقرَّبين من الملائكة والنبيين، وسادات المؤمنين»[(١)].

◆ أيا طالب السعادة العليا:

لا تذهبْ بعيدًا.. فإنك في دنياك ربما أتاك كتابٌ من مَلِكٍ أو حاكمٍ، أو توصيةٌ من أميرٍ أو وزيرٍ.. فذهب بك الفرح كل مذهبٍ أن يأتيك منهم شيءٌ من ذلك، وأكبرت نفسك، وربما علقت هذه الشهادة أو تلك التوصية على الجدران، والتمست لها الزخارف والألوان..

◆ أيا عاشق الجنة وخاطب الرضوان:

دعك من هذا الهذيان..

وانظر إلى هذا التكريم العظيم من الملك الجليل الدَّيان، وتأمَّل في أنَّ الشهود على شهادة نجاحه هنا هم الملأ الأعلى من الملائكة المقربين، والنبيين والصِّدِّيقين ورفيعي الشان.. إنَّه الفوز الحق.. أما «أهل الدنيا فحيارى سكارى، فارسهم يركض، وراجلهم يسعى سعيًا، لا غنيهم يشبع، ولا فقيرهم يقنع»[(٢)]..

(١) انظر: حادي الأرواح، ص:٧٠.

(٢) انظر اغتنام الأوقات، ص:١٣٢.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [المؤمنون: ٥٤]:

خُلِقَ النَّاسُ للبقاء فَضَلَّت ••• أُمَّةٌ يحسبونهم للنفادِ

إنما ينقلون من دار أعمال ••• إلى دار شقوة أو رشادِ

◆ أيا أنيس القرآن.. أيا عابدًا في محاريب الإيمان:

◆ أيا صاحب القلب المنيب:

هكذا كان شأنك أن يذكر اسمك في عليين، يتناوبك ارتفاعٌ بعد ارتفاع، رُفِعَتْ روحُك إلى أعلى الذرا، وسُجِّل اسمُك في عِلِّيين فوق جميع الورى، وشهده أعلى الخلق من المقربين المختارين من الملائكة فهم الملأ الأعلى ومنادي الحق ينادي ﴿جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ: ٢٦] ..

◆ أيا عاشق الفردوس الأعلى:

طالما كنت ترنو في دنياك إلى أعلى الأمكنة، فها أنت ذا تجزى أعلى الجزاء في أعلى الأمكنة مع أعلى الخلق..

◆ أي أُنس القلب:

شأنك: علوٌ في علو، فأنعم به من علوٍ مضاعف لا غاية له![1].

عُلوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ ••• بحقٍّ أنتَ إحدى المعجزاتِ[2]

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٢.

(٢) البيت لأبي الحسن ابن الأنباري. انظر: ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري ١٧٩/٢.

كيف ترى الفرح يصنع بك يا حبيب القرآن، يا رفيع الإيمان، يا عالي الإحسان، إن كنت بذلك المكان ترتفع ويُحتفَل بك فتزدان.

◆ وهناك في عِلِّيين:

ماذا يقال في الوصف...؟ لا تغمض عينيك، ولا تبكِ.. لا تغرق خديك بالدموع.. إلا أن يكون ذلك منك شوقًا وطربًا، وإشفاقًا ألا تصل إن لم تبتغِ له مُطَّلَبًا.. لا تجلب الدمع الولوع إلا أن تكون دموع الفرح أو دموع اللهفة والتعظيم، والرجاء من الرحيم الكريم.. عسى أن تزداد عند ربك جاهًا وحسبًا.. ثم التفت إلى أهل الدنيا ونادِهم.. نادِهم:

تبًّا لطالب دنيا لا بقاءَ لها ◆◆◆ كأنما هي في تعريفها حُلمُ

صفاؤها كدرٌ.. سرورها ضررٌ ◆◆◆ أمانها غررٌ.. أنوارها ظُلَمُ

شبابها هَرَمٌ.. راحاتها سَقَمٌ ◆◆◆ لذاتها نَدَمٌ.. وِجْدانُها عَدَمُ

لا يستفيق من الأنكاد صاحبُها ◆◆◆ لو كان يملك ما قد مُلِّكَتْ إرَمُ

فخلِّ عنها.. ولا تركن لزهرتها ◆◆◆ فإنها نِعَمٌ.. في طيِّها نِقَمُ

واعمل لدار نعيمٍ لا نفاد له ◆◆◆ ولا يُخاف بها موتٌ ولا هَرَمُ[1]

(١) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، لأبي إسحاق الوطواط، ص: ١٣٩.

المشهد الرابع

الأفراح البرزخية

◆ **ترى ماذا حدث للجسد المسجى على الفراش أثناء أفراح الروح في الملأ الأعلى؟**

بعد أن تنتهي في السَّمَوَات العلى مراسم التكريم والرحمة والغفران، ويصدر من الرَّبِّ العظيم مرسوم الرضوان، وتزهو الملائكة فرحًا بما ناله المخبت الأواب من الرحمن، يُصْدِرُ الله ﷻ الجليل الكبير المتعال أمرَه بإعادة عبده إلى الأرض تمضيةً لقضاء ليس له تبديلٌ ولا اختلال، ولكن بعد أنَّ اطمأنَّ العبد المنيب إلى مصير السعادة القريب، فتذوق شيئًا منه في كل مرحلةٍ من مراحل انتقاله.. فيقول الله ﷻ:

«أعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى»

فيُعاد حتى يُسْتَكْمَل القضاء الإلهي في البشر، فيقول الله ﷻ لملائكته:

«انطلقوا به إلى آخر الأجل».

ويبقى لروحه تَعَلُّقٌ بالملأ الأعلى، فربما جالت بأمر الله ﷻ في السَّمَوَات العلى، وربما طارت محلقة ثاوية إلى قنديل تحت عرش الرحمن؛ إذ من ذاق قرب الحبيب لم يصبر عن البعد طويلًا، فهي في أحوال من النعيم المتجدد إلى السماء صعودًا وإلى الأرض هبوطًا، واجتماعًا بالجسد وافتراقًا.. فيا لصبٍّ يرتاد محاضر القدس زورة فزورة، ويطير بين قناديلها مرة فمرة، يتملَّى نعيم الفراديس، ويطرب فؤاده لخير جليس وأنيس..

أراك تجُوز الحيَّ بالقلب خائفًا ... رقيبًا ومِن شأن المحبِّ يزورُ

أمالَك أن تَثْنِي العِنانَ لحَيٍّ من ... يُزار فمحبوبُ القلوبِ مَزُورُ

فكن مُصْغيًا سمعًا فإن لسانَه ... يقول لأرْباب المحبَّةِ زُورُو

إذا زرتَ أحْياء الأحبَّة زُرْهُم ... وإلَّا فدَعْواك المحبَّةَ زُورُ

◆ ولكن ما حال جسده على الأرض، وما آل إليه أمر أحبابه الباكين، وأهله المصابين؟

في بيته وعلى فراشه حيث غادرت روحه جسده أمام الحاضرين، وانطفأ أنينه في حين ازداد الأنين الخافت من المحبين، قام بعضهم فأغمض عينيه «فإنَّ الرُّوح إذا قُبِضَ تبعه البصر»[1]، وسجَّاه بغطاءٍ، وقام بعض الصالحين فنادى نداء الذاكرين،

(١) مسلم (٩٢٠).

وابتهل ابتهال الراجين اقتداءً بسيد النبيين وخير البشر أجمعين ﷺ فقال:

«اللهم اغفر لعبدك المنيب، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونَوِّرْ له فيه»[1].

وانطلق إليه بعض ذويه ومحبيه يلثمون جسده الطاهر، وينظرون إليه نظرة الفراق، وتسيح من أعينهم دمعة الأشواق، وما يحسبون إلا أنه يرفل في وابلٍ من السعادة، وينعم في معية ملائك ربه بخير وفادة، وما هي إلا لحظاتٍ حتى حملوه وهم يدعون له بالرحمة إلى مغسله ليغسلوه.. ثم كفنوا جسده بكفنٍ أبيض، وحنطوه بحنوطٍ من حنوط الأرض، ولم يدروا بجمال الكفن الذي حملته ملائك الرحمة، ولو شموا أريج المسك الفائح من حنوط الجنة الذي غسلت روحه به لحقروا الدنيا..

وهذا أحد أصفيائه ممن ود لو فداه بروحه يرثيه على الملأ قائلًا:

أَقُولُ لِعَيْنَيَّ إِنْ يَكُنْ مَلَّ مَسْعدي ◆◆◆ فَأَيَّتُهَا الْعَيْنُ السَّخْنِيَّةُ أَسْعِدِي

وَلَا تَبْخَلِي عيني بِدَمْعِكِ إِنَّهُ ◆◆◆ متى تُسبلي لي رقَّ دمعي وتَجْمُدي

(١) دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة في مسلم (٩٢٠)، والغابرين: الباقين.

وكيف سُـــلوِّي عَنْ حَبِيبٍ خَيَالُهُ ◆◆◆ أمامي وخلفي في مقامي ومقعدي

نَظَرْتُ إِلَيْـــهِ فَوْقَ أَعْوَادِ نَعْشِـــهِ ◆◆◆ بمطروفةٍ[1] حيرى تحورُ وتهتدى

فَجَاشَـــتْ إِلَيَّ النَّفْسُ ثُمَّ رَدَدْتُهَا ◆◆◆ إِلَى الصَّبْرِ فِعْلَ الْحَازِمِ الْمُتَجَلِّدِ

ولو يُفتَـــدَى ميتٌ بشـــيءٍ فديتُهُ ◆◆◆ بنفسي ومالي من طريفٍ ومُتلدِ

وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ يُمْسِي رَسُولُه ◆◆◆ ويصبح للنَّفسِ اللَّجُوج بمرصدِ[2]

◆ ثناء الناس في الدنيا عليه تترا.. فكيف لو علموا ما وصل إليه منزلة وفخرًا؟

قام الأصحاب فجهزوا جسده الشريف إلى قبره، وحملوه في نعشه وهم ما يفتؤون يخوضون في حُبِّه وذِكْرِه، حتى أوصلوه إلى بيته الذي سيستقر فيه بقية دهره..

بدأت الجنازة بالسير، والمحمول عليها لا يسمع شيئًا؛ إذ قد ارتفعت روحه إلى السماء لتنال صك الغفران والرضوان[3].. وهنا يقص علينا القرآن، ونبي الفرقانa.. ما تعجز أعيننا القاصرة أن تراه، ونداء الحق يثبت المؤمنين ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف: ٧].. وتالله إن في هذا المشهد لعبرة لمعتبر، وادكارًا لمدكر..

---

(١) المطروفة: التي أصابتها طرفة فَهِيَ مطروفة، أَرَادَ أَنها كَأَن فِي عينيها قذى من استرخائهما، ويستعار ذلك حتى يقال: طرفها الحزن. ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢١٨)، مقاييس اللغة (٣/ ٤٤٧).

(٢) الأبيات لأبي يعقوب الخريمي يرثي أخاه. انظر: ديوان أبي يعقوب الخريمي، ص:٤٢، تاريخ مدينة دمشق ٢٠٣/٨.

(٣) أو: صك الغضب والسخط والخسران لمن حبط عمله وكان من الغافلين.

مَرَّتْ بالحسن البصري رحمه الله جنازة فقال:

«يا لها موعظة ما أبلغها، وأسرع نسيانها! يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة!»، ثم قال: «يا غفلة شاملة للقوم، كأنهم يرونها في النوم، ميِّتُ غَدٍ يدفن ميَّتَ اليوم!»[١].

وفي هذه الأثناء أو قبلها بقليلٍ أو بعدها بقليلٍ أُعيدت «روحه في جسده» لاستكمال الحساب إعادةً معينةً لا تشبه حياة أهل الأرض إذ على الرغم من عودة روحه إلا أنه لا يستطيع أن يتحرك وهو مسجىً على سرير الموت، أو وهو داخل حفرته، فإعادة روحه هنا إعادةٌ معينة تدخل ضمن عالم الغيب، وتبقى روحه معه حتى تغادره بعد سؤال الملكين ورؤيته لنعيمه في الجنة عبر فتحةٍ غيبيةٍ في القبر، وتغادر الروح إلى مكانٍ يعلمه الله[٢].

لله مكانك يا صاحب القلب المنيب! هذا مقامٌ يطمح إليه الطامحون:

مضت الجنازة المباركة، وسمعتَ أثناءها الناس يثنون على الأواب المخبت، يمدحون عبادته، ويثنون على أخلاقه، ويذكرون بِرَّه بأمه وأبيه، ومعاملته الحسنة لسائر الناس، يذكرون حب الناس له، وحبه للناس، يذكرون مسامحته لهفواتهم،

(١) العاقبة في ذكر الموت، ص: ١٥٣.

(٢) وتبقى روح المجرم متصلةً بجسده نوع اتصال حيث يعذب في البرزخ ويحتمل أن روح المؤمن تبقى كذلك متصلة بالجسد نوع اتصال.

ومدافعتـه للسـيئة بالحسـنة، وهكـذا كان الثنـاء..

وسمع السامعون رجلًا بين الجموع قد سمع كثرة ثناء الناس عليه فقال: وجبت له الجنة.

فقال له بعضهم: لا يصح أن نقطع لأحدٍ بالجنة؟

فردَّ عليه: ألم تسمعوا قول رسول الله ﷺ:

«مَـنْ أَثْنَيْتُـمْ عَلَيْـهِ خَيْـرًا وَجَبَـتْ لَـهُ الْجَنَّـةُ، وَمَـنْ أَثْنَيْتُـمْ عَلَيْـهِ شَـرًّا وَجَبَـتْ لَـهُ النَّـارُ، أَنْتُـمْ شُـهَدَاءُ اللـهِ فِـي الْأَرْضِ.. أَنْتُـمْ شُـهَدَاءُ اللـهِ فِـي الْأَرْضِ.. أَنْتُـمْ شُـهَدَاءُ اللـهِ فِـي الْأَرْضِ»[1].

وجرت الأفكار تناوش عقولًا أخرى:

يـا لبشـائر الطهـر التـي تتبعـك -يـا صاحـب القلـب المنيب-حتـى بعـد أن غـادرتَ عالـم البشـر! فعنـد ربـك كل صغيـرٍ وكبيـر مُسْـتَطَر، وهـو ربـك الـودود سـبحانه الـذي أجـرى علـى ألسـنتهم ذكـرك ليشـهدوا لـك كمـا شـهد لـك الـملأ الأعلـى بأعلـى خبـر، فهـل مـن مدَّكـر؟ إنهـا البشـرى العاجلـة، والبهجـة الكاملـة، حينمـا اجتمـع لـه ثنـاء عبـاد اللـه الصالحيـن، مـن أهـل السَّـمَوَات والأرضيـن، ومصـداق ذلـك فـي حديـث الحبيـب المصطفـى ﷺ عندمـا قيـل لـه: أرأيـت الرجـل يعمـل العمـل مـن الخيـر، ويحمـده الناس عليـه؟ قـال: «تلـك عاجـل بشـرى المؤمـن»[2].

(١) مسلم (٩٤٩).

(٢) مسلم (٢٦٤٢).

والتفت رجلٌ آخر إلى المصلِّين فقال: لله دره.. ما أكثر ما سيناله من خيرٍ، وما أعظم ما سيُصْرَفُ عنه من شر، أكل هؤلاء اجتمعوا للصلاة عليه؟

◆ **ثم تلفت حوله باكيًا قائلًا: ربِّ فاجعلني مثله وخيرًا منه..**

فاستفهم منه أحدهم: لم تردد مثل هذا الكلام؟ ولم تكثر الالتفات إلى من صلَّى عليه؟

قال: انظر إلى كثرة من صلَّى عليه، هذا مقامٌ يطمح إليه الطامحون، فقد قال النبي ﷺ:

> **«ما من رجلٍ مسلمٍ يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفَّعهم الله فيه»[1]..**

وهؤلاء يزيدون على أربعين.. بل يفيضون..

◆ **وأكمل حديثه متأملًا مصير خيرٍ لنفسه:**

وكيف لا نشهد له بالجنة وقد رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا..

أتعلم يا أخي: ما أكثر ما شهدناه يقول: «رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا في غدوته وعشيه.. وبعد كل أذانٍ..

---

(١) مسلم (٩٤٨).

وقد قال رسول الله ﷺ:

«يا أبا سعيد، من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وجبت له الجنة»[1].

دعهم أي أخاه.. دعهم يا -أُنْسَ النفس- في الدنيا يتحدثون مجرد تحدثٍ عن عالم اليقين، وانتقل إلى عالم الغيب حيث الحق المبين.. لترى النبي ﷺ قد جعله عالمًا للشهادة، إذ هم في أثناء سيرهم، وثنائهم، ودعائهم، وتسبيحهم رجعت روحه إليه، سارت جنازته وقد «احتملها الرجال على أعناقهم»[2].. وهي جنازةٌ «صالحةٌ» بشهادة الشهود، وواقع الحال، ومضى موكب الجنازة المباركة والناس حولها يسيرون «بين يديها، وخلفها، وعن يمينها، وعن شمالها قريبًا منها».

ومِنَ العجائبِ أن يُرى بَحْرُ النَّدَى ... طَوْدُ الهُدى يَسْرِي على الأعناقِ

إن يحملوك على الكَواهلِ طَالَما ... قد كنتَ محمولًا على الأَحداقِ[3]

عودة الروح الفرحة المستبشرة تنادي: قدِّموني.. قدِّموني:

ولأنَّ الروح قد عاينت من رحمة الله ﷻ في الملأ الأعلى، وأخذت من

(١) مسلم (١٨٨٤).

(٢) البخاري (١٣١٤).

(٣) ديوان ابن زمرك، ص: ٤٤٧.

الله ﷻ مرسومًا بأن يكون كتابها في عليين، فإنَّها فور أن عادت إلى جسده - نوع عودة- صاحت وهي على النعش، صاحت صيحة الفرح لو كان في العالم من يسمعُ، نادت فرحةً جذلانةً: «قدِّموني، قدِّموني»[1].. متلهفةً على إنهاء اختبارها الأول في القبر، لم يشعروا بها وهي تستعجل الوصول إلى حفرتها، لتبدأ لها سعادة الأبد..

◆ قَدِّموني.. قَدِّموني:

أنشودة الخلود لعبدٍ منيب أرضى ربه المجيد، فعاش قبل موته عيشة الحميد، وهو سيلقى بعد موته مصير عبدٍ سعيد..

قَدِّموني.. قَدِّموني.. فمالكم قد أخرتموني.. عن مكان سعدي لا تُنْظِروني..

ولكن من يحمله على أعواد الخشب لا يشعرون، هتاف الواقع يصيح بهم لو كانوا يسمعون ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

وهكذا أُعيد إلى الأرض ليستكمل القضاء دورته، ويمضي أمر الله ﷻ والغافلون في غفلتهم يسكرون، ولما ألحدوا له ووضعوا جسده أهالوا عليه التراب، وأزجوا له دعوات الرحمة وابتهال الرضوان، والدموع العِذاب، وانتظر أحبُّ الناس إليه، وأقرب

(١) وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلَها! أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كلّ شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصَعِقَ.

الناس زلفى لديه.. انتظروا حوالي قبره يدعون له بالثبات فعلَ أولي الألباب، وما دروا بما حدث له من كرامات، ولا ما زف له من بشائر، ولا بما ينتظره من نعمٍ سابغات.

ضمة القبر لا بُدَّ منها.. اطمئن إنها ليست عذابًا:

أتبعه نظرك القرآني لتراه أول ما أُدْخِلَ القبر ضَمَّتْهُ الأرض وهو في قبره ضمتها الرهيبة! نعم.. ضَمَّتْهُ على الرغم من دينه وإيمانه. على الرغم من إخباته وحفظه لقرآنه، سنةً قدريةً ماضيةً لا بدَّ منها مع كل أحدٍ، لا ينجو منها ناجٍ، ولا يدفعها سندٌ أو معتمَد. . لقد وقع مثل ذلك من قبله لسعد بن معاذ رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ:

> «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمةً، ثم فُرِجَ عنه»[1] فـ«إن للقبر ضغطةً.. ولو كان أحد ناجيًا منها نجا منها سعد بن معاذ»[2]..

إنها ضمة لا يفلت منها صغير ولا كبير، فعن أبي أيوب رضي الله عنه: أن صبيا دفن فقال رسول الله ﷺ: «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي»[3].

(١) النسائي (٢٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٩٤٢).

(٢) أحمد (٢٤٢٨٣)، وصححه محققو المسند.

(٣) المعجم الكبير (٣٨٥٨)، وصححهالألباني في صحيح الجامع (٥٢٣٨)، والصحيحة (٢١٦٤).

وقد شعر صاحبنا بآلام الضغطة كما كان يشعر بآلام الموت..

أفترى أن هذه الضغطة كانت تذكيرًا بأن أعمال العبد مهما بلغت لم تبلغ العشر من نعم ربنا وآلائه؟

سُبْحَانَ مَنْ لَوْ سَجَدْنَا بِالْعُيُونِ لَهُ ◆◆◆ عَلَى حِمَى الشَّوْكِ والمُحْمَى مِنَ الْإِبَرِ

لَمْ نَبْلُغِ الْعُشُرَ مِنْ مِعْشَارِ نِعْمَتِهِ ◆◆◆ ولا العُشَيْرَ ولا عُشرًا من العُشرِ[1]

أم تراها كانت تنبيهًا له ألا يأمن مكر الله حتى يدخل الجنة، ويحل عليه الرضوان، وتتم عليه المنة؟

أم تراها ضمة الأم لولدها الذي خلق من تراب فربما كانت في حق المؤمن ضمة حب وشوق وحنان، وفي حق غيره ضمة كضمة الساخط الغضبان؟

ولكن هذ الشاب المنيب -بحمد الله مولاه- عاد من ضغطة القبر ناجيًا، وكيف لا! وهو يلوذ بالله الذي من استكفاه كفاه.، إذ ضَمَّتْهُ الأرض ضمةً عظيمةً ثم عاد لصالح أمره ففرجت عنه.

اللهم فَرِّجْ عنا في ذلك المكان يا أرحم الراحمين.

---

(١) البيتان لعبيدة الخواص. ينظر: لطائف المعارف لابن رجب، ص: ٢٨٦، ويروى: (على شَبَا الشوك) كما في صقوة الصفوة ٤١٦/٢، قال الجوهري: «شباة كل شيء: حد طَرَفِهِ، والجمع الشَّبا والشَّبَواتُ». الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦/ ٢٣٨٨.

◆ لكأن هناك من أخبره حتى لا يأخذ منه الجزع مخبره ومظهره:

اطمئنَّ -أيها القائم بأمر ربه- ولا تظنَّنَّ الضمة عذابًا «بل هو أمرٌ يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار ونحو ذلك.. فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه، وإنما تتم الراحة وتكتمل عند أبواب الجنة وعلى عتباتها..»[1].

وما أصدق قول: «ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه»..

فاللهم راحة وهناءة لا هم بعدهما ولا كدر.

◆ أيا حبيباه:

أتتابعنا في أحداثنا، ألا تستحق ضمةٌ لم ينجُ منها حتى الفائز سعد بن معاذ أن تنظر أمامك بإمعان، وتناجي الواحد الديان:

ربِّ أسألك العفو واللطف الخفي.. أسألك العفو والحنان الحفي.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٢٩٠.

وداع المحبين له.. أَيُسْمَعُ ذلك الوداع؟

بعد أن وضع المحبون حبيبهم في قبره ظن بعضهم أن ذلك هو مثواه الأخير، وما علموا أنه بداية مثواه الجديد في عالم الغيب في عالم الآخرة.. وقام بعض خُلَّصِ أصحابه منهم على قبره كالمودع له وترقرقت العبرات تخطف معها الذكريات:

ولمَّا اسْتَقَلُّوا بِأَثْقَالِهِمْ ◆◆◆ وقد أَزْمَعُوا بالذي أَزْمَعُو

قَرنتُ الْتِفَاتِي بآثارهم ◆◆◆ وأَتْبَعْتُهم مُقلةً تدمعُ[1]

وغفل بعضهم فظنوه -مع أن الدموع تترقرق في عيونهم- لا يسمعهم، ولا يحس بوجودهم، والأمر كذلك بعد أن فارقته الروح، ولكن ما إن «وُضِعَ في قبره وتولى عنه أصحابه» حتى بدأ معه الحساب في عالم الغيب، ولأن الروح قد أُعيدت إليه فإنه يسمعهم.. نعم! «إنه ليسمع خفق [قرع] نعالهم إذا انصرفوا»[2]..

وودَّ أن يكرر عليهم ما قد غاب عن كثيرٍ من الخلق في زمانٍ حلت الغفلة فيه محل الصدق، ودَّ أن يُكَرِّرَ عليهم هتاف النعيم الحق:

﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

(١) المنتحل لأبي منصور الثعالبي ص: ٢٤٣، تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٨.

(٢) مسلم (٢٨٧٠).

المشهد الخامس

ابتلاء في القبور.. ابتلاء يعقبه حبور
ترقب نتيجة تملأ الفؤاد بالسرور

حرسٌ من القوات الإيمانية الخاصة حيث لا تنفع كل أسلحة الدنيا:

فور أن وُضِعَ الشاب الحبيب صاحب القلب المنيب في قبره، توجهت إليه قُوَّاتٌ من الحرس الإيماني الخاص في ذلك المكان المظلم.. تحرسه في قبره حراسةً قويةً دونها كل حراسات الدنيا، فتكون «الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه»[1].

◆ يا طالب الفوز: هبْ لي حرسًا كهؤلاء الحرس، ثم هب لنفسك حرسًا كهؤلاء الحرس، هل تعرف طريق جذبهم نحوك؟ فماذا تنتظر إذن؟

ثم يُسَلَّط عليه العذاب حتى وهو مؤمن «فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخلٌ» وهكذا يكون دفاع الله عن الذين آمنوا.. وكلٌ بحسبه.. كلٌ بحسبه.. ومن قدَّم هنا شيئًا وجده هناك.. «ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قبلي

(١) ابن حبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).

مدخلٌ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتي من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخلٌ».. فإن كان ممن ترك هذه الأسلحة في دنياه، وأقبل على أسلحةٍ تزول عنه فور خروجه من الدنيا احتوشه العذاب من كل مكان.. وإن كان ممن أعدَّ هذه الدروع الواقية من الأعمال الصالحة، وتسلَّح بهذه الأسلحة الثقيلة من الطاعات، فأنى لعذابٍ مع هذه الأسلحة أن يأتيه، أو لخوفٍ أن يعتريه، أو لرعبٍ أن يسري في عروقه، بل هو الآن مطمئنٌ، شديد الاطمئنان أمام ما سيأتيه من مَلَكِي الاختبار اللذَيْنِ تُخَوِّفُ هيئتُهما الدنيا بأسرها.. فهل مِن مُعَدٍّ لهذه الأسلحة؛ لتكون له دفاعًا وحيدًا بعد موته. ألا فلتبكِ عيونٌ أضاعت أوقاتها في غير ما شيء، عسى أن يصنع بكاؤها وندمها مجدًا لها عند ربها، ونجاةً لها من فتنة القبر وعذابه وأهواله:

نَزَفَ البكاءُ دُمُوعَ عَينِك فاسْتَعِرْ ◆◆◆ عينًا لغيرك دَمْعُها مدرارُ[1]

لا! لا! بل قل -مقبلًا بحبٍّ صادق تثق من أن جزاءه سيكون جزاء الحسنى-:

هل لقلبٍ هام حبًّا ◆◆◆ أن يُرى يومًا نَسيا؟

كيف والأشواق ثارت ◆◆◆ وافقت قلبا خليا

حرمت نومًا لجفنٍ ◆◆◆ أشعلت عزمًا فتيا

(١) أمالي القالي ٢٠٩/١.

فتسامى القلب لمَّا ••• ذاق حبًّا سرمديا

وإذا عبدٌ منيبٌ ••• هجر الخلق مليا

مدَّ كفيه ابتهالًا ••• أرسل الدمع السخيا

كيف أنساك وروحي ••• لم تكن لولاك شَيَّا

قدتَ خطوي لم تدعني ••• أقطعُ العمر شقيا

وملأت القلب نورً ••• كنتَ بي ربي حفيا

أنت يا مولاي حسبي ••• فاجعلن قلبي رضيا[1]

يا صاحب سورة الملك.. هذه ساعة أمانك:

ولربما تحسس عذابُ القبر صاحبَنا ذا القلب المنيب من جهاتٍ أخرى، ولكنه كان يملك سلاحًا عظيمًا طالما كان له صاحبًا.. إنه سورة الملك، تنبعث سورة الملك تحاج عن صاحبها، وتدفع عنه العذاب حيث «يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيلٌ» ثم تبين حيثيات الدفاع عنه فتقول: «كان يقوم بي يقرأ سورة الملك»، وهكذا أيضًا «يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيلٌ، كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيلٌ، كان يقرأ بي سورة الملك، فهي

(١) لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني.

المانعة تمنع من عذاب القبر»[١].

إنها بركة القرآن، وبركة سورة (الملك).. إنها رفقة القرآن وحسن صحبته في الدنيا تجسدت في شخوص تدافع عن صاحبها في قبره أحوج ما يكون إليها.. كما يدفع الرفيق عن رفيقه، ويناضل الحليف عن حليفه.

نعم! اعلم أيا صاحباه أن قومًا من الغافلين لم يسمعوا عن هذه الأسلحة، ولا انتبهوا لها لأنهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٦-٧]، وإنما نحن نتبع ذكرًا من ربنا يأمرنا أن ننظر إلى أسباب الدنيا، وأسباب الآخرة.

أول اختبارٍ في عالم الغيب:

وبعد هذه المقدِّمات التي بعثت فيه اطمئنانًا، وزادته سكينةً ويقينًا وإيمانًا.. بدأ أول اختبارٍ في عالم الغيب، نعم! اختبار هكذا سمَّاه النبي ﷺ فقال: «إنَّ هذه الأمة تُبتلى في قبورها» حيث يأتيه «ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير»[٢]، ولو رأيتهما لرأيت هولًا عظيمًا، فهما شديدان غليظان كما

(١) الحاكم (٣٨٧٩) وصحح إسناده، ووافقه الذهبي في التلخيص، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٧٥).

(٢) الترمذي (١٠٧١)، وقال: حسن غريب، وحسَّنه شعيب الأرناؤوط. ينظر: الترمذي، ط الرسالة (١٠٩٤).

يظهر من اسميهما، حتى وصف النبي ﷺ أحدهما بأنه «مَلَكٌ شديد الانتهار»[1] «فيجلسانه» «فيقال له: اجلس.. فيجلس».

◆ أيا طالبًا في القبر الأمان:

ارفع طرفك، وانظر إلى صاحبنا ذي القلب المنيب حيث جلس.. ولكنه وفي داخل قبره يجلس «وقد مُثِّلَتْ له الشمس وقد أُدنيت للغروب»، وهنا يبدأ الاختبار، فيبتدره الملكان فيقولان له: «أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم: ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟»[2].

◆ المؤمن يحاول قطع الاختبار.. ويحن إلى صلاته.. إنه يأرز إلى إيمانه:

الملكان يسألانه، وعيناه تتجهان نحو الشمس التي توشك أن تغرب، فيتلهف لصلاة العصر قبل أن تفوت والصلاة تؤدى في الدنيا، وقد مضى ذاك الزمان.. غير أنه المؤمن الولهان.. المُتْرَعُ بإيمانه، لا يغفل عما فيه رضوان ربه وإحسانه، يبتدر الملكين بطلب.. بطلبٍ غريبٍ على الكَسَلَةِ «فيقول: دعوني حتى أصلي»، كان يتلهف على صلاته قبل أن يدخل وقتها.. فكيف إذا دخل؟ «فيقولون: إنك ستفعل. أخبرنا عما نسألك عنه».. وهكذا تذكر صلاة العصر، وأنها يجب أن تؤدى قبل

(١) أحمد (١٤٧٢٢)، وصحَّحه محققو المسند.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣١١٣)، وحسَّن إسناده شعيب الأرناؤوط.

غروب الشمس.. تلك سجيته في الحياة الدنيا، فؤاد معلق بالواحد الديان، عابد له في السر والإعلان، لا يفرط في صلاته فيضيعها، ولا يغفل عنها بحال من أحواله أو يدعها.

يا للصلاة غذاء الروح وأُنْسَ القلب، وشفاء المجروح، وأمان النفس في الدنيا والآخرة، يتذكرها المؤمن في قبره طلبًا للأمان، وشوقًا للرحمن.

لقد أعطى بذلك انطباعًا جديدًا عن نجاحه المرتقب، وتوفيقه المكتسب بعد أن رأى الملكان دفاع الصلاة والزكاة والصيام وأعمال البر عنه..

أسئلة الاختبار العظيم!

إنه أهم اختبارٍ شفويٍ أمام أقوى لجنةٍ تمر عليك مذ عرفتَ الحياة:

يطرح الملكان أسئلة الاختبار بعد أن يُهْدِئا منه غيرته على فوات صلاته، ولذا يستغرب سؤالهم له وقد رأوا حرصه على دينه.. ففي روايةٍ للحاكم «قال: وعما تسألوني عنه»[1].

عدد الأسئلة في هذا الاختبار أربعة أسئلة، وهي أسئلةٌ مُرَكَّزةٌ تقوم على التوفيق الإلهي، وعلى مسيرة حياة العباد في الدنيا.. إعدادًا لهذه الساعة العظيمة، فمن ﴿أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩]

(١) وردت هذه الأسئلة في دواوين السنة بألفاظ متقاربة انظر: أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١٤١٧)، وابن حبان بترتيب ابن بلبان (٣١١٣).

ومصيرهـم موفقًـا:

قدِّما الأسئلة:

◆ **فكان السؤال الأول: «من ربك؟»..**

فيجيب المؤمن بسرعةٍ مصحوبًا بتوفيق الملك المهيمن:

«ربي الله» وما له ألا يعرف ربَّه وقد كان هتافه به في كل لحظات حياته:

ولقد ذكرتكَ والخطـوب كـوالحٌ ◆◆◆ سُودٌ، ووجهُ الدَّهرِ أغبرُ قـاتِمُ

فهتفتُ في الأسـحار باسمك صارخًا ◆◆◆ فإذا مُحَيَّـا كـلِّ فجرٍ باسمُ

أبشـر يـا عبـد اللـه.. نبضـات قلبـك بذكر اللـه.. همسـك بأسـمائه، لهجـك بالثنـاء عليه.. كلماتـك المملـوءة حبًـا وتعظيمًـا للـه بالغـدوِّ والآصـال كل ذلـك وغيـره ممـا عشـت بـه وعليـه فـي دنيـاك لـم يذهـب سـدى.. هاهـو يمـدك يسـندك يبـاركك فـي هـذا الموقـف.. ولا عجـب أن يوفـق هـذا السـعيد للإجابـة، وأن يلهـم صوابـه.. فهـل مـن عجـب أن يذكـر الخـل أحبابـه؟

عجبت لمن يَقُـول ذكرتُ إلفي ◆◆◆ وهل أنسـى فأذكر مَا نسيتُ[1]

◆ **السؤال الثاني: «يقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام».**

الجواب مباشرٌ، وسريعٌ، ولمه لا؟ وقد كان في دنياه لا يمل الحُداء:

(١) الرسالة القشيرية ٢/٤٩١.

أبـــي الإسلام لا أبَ لي ســـواه ◆◆◆ إذا افتخروا بقيـــسٍ أو تميمِ[1]

هكـذا تجـري علـى لسـانك تنسـاب سـهلة واضحـة دون أدنـى تـردد أو تلعثـم.. بـكل جـرأة وتصميـم (ديني الإسلام) النـور السـاطع الـذي أنـار دربـي، والـدرب الواسـع الـذي سـرت فيـه وصحبـي، ومعشـر أهـل حبـي.

◆ **السـؤال الثالـث: «يقـولان لـه: أرأيتـك هـذا الرجـل الـذي كان [بُعِـثَ] فيكـم مـا تقـول فيـه؟ ومـاذا تشـهد عليـه؟ قـال: فيقـول: أمحمـد؟ فيقـولان: نعـم!».**

هاهـو ذا السـؤال عنـك يـا خيـرَ النـاس يصـل إلـى لحظتـه الحاسـمة، ليثبـت للعالـم أنـك نـورٌ مـن ربـك مبيـن، أُرْسِـلْتَ بالهـدى والحـق واليقيـن.. لتشـرقَ بسـناك علـى الكـون الحزيـن، فمـن صدقـك أجـاب، وإلا خسـئ وخـاب..

◆ **تذكـر أسـاس التوفيـق للإجابـة، وإلهـام السـداد والإصابـة - مفتـاح اللغـز «فيقـول مـا كان يقـول»:**

أكمـل مشـاهد الحـق وانظـر ثبـات الإجابـة.. الحـظ الإصـرار عليهـا واليقيـن فـي قولهـا، وتأمـل مـاذا يمكنـه أن يقـول.. هـذا الـذي شُـلَّتْ لسـانه فـي ذلـك الوقـت.. فـي ذلـك الوقـت الـذي لا معيـن فيـه إلا توفيـق الغفـور الرحيـم:

يصـف النبـي ﷺ هـذه اللحظـة العظيمـة الخطيـرة بعبـارةٍ جليلـةٍ كبيـرةٍ، يقـول ﷺ

(١) البيت لـنهار بن تَوسِعة اليشكُريّ. انظر: الكتاب لسيبويه ٢٨٢/٢.

واصفًا حال هذا العبد المخبت المنيب: «فيقول ما كان يقول».

يا الله! إنه يقول ما كان معتادًا على قوله في الدنيا، فإن اعتاد أن يقول كلام الإيمان فذلك قوله في قبره، وإن اعتاد الكفران، فذلك جوابه.. فليس الأمر بحذقٍ وتذاكٍ يظهرهما في تلك الساعة.. نعم إنه يقول ما كان يقول، فيقول -أي هذا العبد- كما يقول ﷺ:

- «أشهد أنه رسول الله [وعبده]، وأنه جاء بالحق من عند الله»، ويتابع:

- «هو محمدٌ رسول الله»، إنه الحُبُّ لرسول الله أنطقه، والحُبُّ لرسول الله ثبته، والحُبُّ لرسول الله رفعه، أو ما كان يهتفُ في دنياه: يا رسول الله:

لَمَسْتَ أمَانِينَا فَصَارَتْ جَدَاوِلًا ... وَأمْطَرْتَنا حُبًّا ولا زِلْتَ تُمْطِرُ

تُعَاوِدُنِي ذِكْرَاكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... ويُورِقُ فِكْرِي حين فيك أُفَكِّرُ

وتَأبى جِرَاحي أنْ تَضُمَّ شِفَاهَهَا ... كأنَّ جراحَ الحبِّ لا تتخثَّرُ

أحبكَ لا تفسير عندي لصبوتي ... أُفسِّرُ ماذا؟ والهوى لا يُفَسَّرُ

عدْ إليه في امتحانه لتجدَه يتابع بحبٍّ ولهفة:

- «جاءنا بالبينات من عند الله فآمنا وصدقناه»، ولا يتوقف:

- هو رسول الله.. هو رسول الله.. هو رسول الله.

إنه (رسول الله) الذي غمرني وغمر العالمين بجميل الحنان.. وأنار قلبي بضياء

الإيمـان..

إنـه (رسـول اللـه).. كـم لهـج فـؤادي قبـل لسـاني بالـصلاة عليـه، وكـم حَنَّـتِ النفـس شـوقًا إليـه..

ثم يعلن لهم شارة التوحيد، وشهادة الحق التي كان يرفعها في دنيا العبيد:

- «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله»..

«فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا».

◆ السؤال الرابع: «يقولان له: وما علمك؟»

الآن اسـتبان الحـق المبيـن.. ذاك كلامـك فكيـف عملـك.. سـألوا عـن العلـم وأرادوا العمـل.. لأن العلـم ليـس مجـرد معلومـاتٍ تُتناقـل..

فيقول: «قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت».

وهكذا ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]..

ومـا لـه ألا يُجِيـب وقـد كان يُعَلِّـمُ البعيـد والقريـب عـن جـواب السـؤال القـادم بقلـبٍ منيـب، ومـا مثلـه هاهنـا إلا كمـا قـال سـهل بـن عمـار: رأيـت يزيـد بـن هـارون فـي المنام بعـد موتـه فقلـت لـه: مـا فعـل اللـه بـك؟ فقـال: «أتانـي فـي قبـري ملـكان فظـان غليظـان فقـالا: مـا دينـك؟ ومـن ربـك؟ ومـن نبيـك؟ فأخـذت بلحيتـي البيضـاء، فقلـتَ: ألمثلـي يقـال هـذا وقـد علمـت النـاس جوابكمـا ثمانيـن سـنة»[1]..

(١) تفسير القرطبي ٣٦٣/٩.

يـا غـزارة الدمـع التـي تنطلـق تذكـرًا للعمـل الصالـح فـي الدنيـا.. كيـف أغـاث اللـه بـه أحـوج مـا يكـون العبـد إليـه.

أيسـتوي ذا ومـن مصيـره أن يقـول: «سـمعت النـاس يقولـون شـيئًا فقلـت مثلـه لا أدري، فيقـولان: قـد كنـا نعلـم أنـك تقـول ذلـك».

◆ نتيجةٌ مرضيةٌ، وعيشةٌ هنيةٌ.. وفتحٌ مبين.. لعبدٍ من المتقين:

عنـد ذاك تعلـن نتيجـة السـرور والحبـور، وشـهادة الفـوز الأبـدي: «فينـادى منـادٍ فـي السـماء: أن صـدق عبـدي»، وانظـر كيـف أُعلنـت النتيجـة بأبهـى حلـل التكريـم مـن اللـه رب الخلـق أجمعيـن.. ويعطيـه اللـه جائزتـه المؤقتـة إلـى حيـن يبعثـون.. فيقـول: «فأفرشـوه مـن الجنـة، وألبسـوه مـن الجنـة، وافتحـوا لـه بابًـا إلـى الجنـة»..

يا نتيجة الفوز العظيم:

أمـــوتُ إذا ذكرتـــكِ ثـــم أحيا ◆◆◆ فكـــم أحيا عليـــكِ وكم أموتُ

عنـد ذاك تهتـف لجنـة الامتحـان العصيـب تحيـي العبـد الأوَّاه المنيـب: «علـى ذلـك حييـت، وعلـى ذلـك مـت، وعلـى ذلـك تبعـث إن شـاء اللـه»..

◆ ترقب الفوز الكبير، وتنعم برؤية الأفراح المستقبلية:

انظـر إلـى مشـهد الفتـح المبيـن لهـذا العبـد مـن المتقيـن، يبـدأ جنـود ربـك الذيـن لا يعرفهـم البشـر، يبـدؤون سـراعًا بتنفيـذ الأمـر الإلهـي، وصـرف جائزتـه نقـدًا لا نسـيئةً ــ

«يفتح له بابٌ من أبواب الجنة [فيأتيه من روحها وطيبها] فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها»، ويتم تصوير مشاهد الفرح التي تعتري ذا القلب المنيب: إذ «يزداد غبطةً وسرورًا»، ويهيم شوقًا وحبورًا..

ولا تكتمل النعمة إلا بمشهدٍ آخر يُعَرِّفُهُ نعمة الله عليه.. إذ «يفتح له بابٌ من أبواب النار فيقال له: [هذا بيتك كان لك في النار] هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها لو عصيته، [ولكن الله عصمك ورحمك، فأبدلك به بيتًا في الجنة][1] فيزداد غبطةً وسرورًا»..

◆ وهكذا فتحت له نافذةٌ إلى مقعديه:

مقعده في الجنة دار الكرامة ليرى ما أعد الله له، ومقعده في النار لو عصى الله واستكبر، قال ﷺ: «فيراهما جميعًا»، وما هذا بمحال ولا بمستبعد، فهاهي الشاشات صغيرها وكبيرها تنقل للناس على تباين حالاتهم أحوال العالم وأحداثه المسعد منها والمحزن، أفيتعاظم مثل ذلك وما هو أجل على العظيم الجليل سبحانه. ثم يكمل جنود ربك عملهم الغيبي عن عالم البشر المادي، فـ «يفسح له في قبره سبعون ذراعًا [مد بصره]، وينور له فيه [ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون]»[2].

وعندما يُعْرَضُ عليه يسمع نداء حبيبٍ من أحبابه الملائكة الناضرة، وولي من

(١) الزيادة عند أحمد (١٣٤٤٧) وأبي داود (٤٧٥١)، وصححه محققو المسند.

(٢) مسلم (٢٨٧٠) و أحمد (١٢٢٧١).

أوليائه في الدنيا والآخرة؛ إذ لا بد مع الصورة من صوتٍ عذبٍ رخيمٍ.. تسمعه يعلق على ذلك المنظر البهيج الكريم.. يقول له: «هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[1].

أيا حبيباه: تصور ذلك.. بشرى بعد بشرى!

فلتستفق أنفسٌ طالما كانت بهذه الدنيا سكرى.

◆ يا صاحب القلب المنيب..

كأنك تود الإعلان لكل غافلٍ: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ [الحاقة: ١٩]..

هذا مراد كل سائل.. هنا غاية المنى لكل عامل.. ألا هل من مُشَمِّرٍ لبلوغ تلك المنازل؟

إنَّه أوابٌ حفيظ، خشي الرحمن بالغيب، وجاء ربه بقلبٍ منيب.. انظر إليه الآن في قبره، انظر إليه ببصيرة القرآن، فإن:

مجالسه مثلُ الرياض أنيقةٌ ◆◆◆ لقد طاب منها الريحُ واللونُ والطعمُ

خاتمة بشائر القبر: لقاءٌ حميمٌ مع رفيقٍ ازدهر حبه.. ولكنه لقاءٌ غير متوقع:

وبعد هذا الروح والريحان، والبشر والرضوان.. يفاجأ بزيارةٍ تزيده سعادةً وأنسًا وسرورًا على الرغم من أنها كانت غير منتظرةٍ لشخصٍ حبيبٍ إذ «يأتيه رجلٌ حسن

(١) مسلم (٢٨٦٦).

الوجه.. حسن الثياب.. طيب الريح»[1] فهذه هيئته، ويبادر هذا الرجل الممتلئ حسنًا وجمالًا، يبادر إلى مؤانسة صاحبه المنيب «فيقول: أبشر بالذي يَسُرُّكَ.. هذا يومك الذي كنت توعد» عندها يزداد غبطةً وسرورًا بصاحبه، فيتمنى أن يتعرف عليه وقد بدأه هذه البداية الطيبة المبشرة، ويمتلئ قلبه بالشوق لمعرفته «فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجئ بالخير» أمسك دموع عينك.. وأنت تسمع الجواب، لتعرف من المقصود بالخطاب «فيقول: أنا عملك الصالح»، أجل إنه عمله الصالح، وتسمع عمله الصالح لا يتركه بل يمضي في الثناء عليه ليزداد سرورًا وحبورًا فيقول له: «أنا عملك الصالح، فو الله ما علمتك إلا كنت سريعًا في إطاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيرًا»، ما أعذب الدعاء، ما أحلى الثناء.. أحوج ما يكون المرء في بيت الغربة ذاك إلى من يؤنس وحشته، ويؤمن روعته فيأتيه عمله الصالح أشد ما يكون له احتياجًا، وأعظم ما يكون به ابتهاجًا.. فيا للبشريات المتعاقبة، والنجاحات المتواثبة.. فاللهم بشرنا بما يسرنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض..

إنه عمله الصالح: كم أعده ونمَّاه، وشَكَّلَه ورباه، وجمَّله وأعلاه، حتى جاءه في أخراه بأبهى صورةٍ يرجوها، وخير هيئةٍ يطلبها.. ابكِ الآن على ساعاتك الماضية،

---

(١) أحمد (١٨٥٣٤)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، والحاكم (١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٨).

واسمح لعينيك أن تضرم للخدين نيرانهما بحزنٍ حار، ودمعٍ مدرار.. وانظر أيا حبيباه كيف ستبني عملك الصالح، ليأتيك في قبرك ويوم نشرك مجسدًا مشخصًا..

كيف سيقضي الحياة الناعمة في البرزخ؟

وحتى يهنأ بأنعم حياةٍ في هذه الفترة الانتقالية المؤقتة، فترة البرزخ في القبر فإنه «يقال له: نم».. لكنه يود لو عاد إلى أهله ليبشرهم ويخبرهم بأي كرامةٍ رأى، وأي نعيمٍ عاين «فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٧]، لكن سنن الله لا تبغي لها حولًا؛ إذ يكون الجواب بألذ خطاب، وألطف أسلوبٍ: «اسكن» حتى يبلغ الكتاب أجله، ولفرحته ولهفته، ورؤيته لما أُعد له من الكرامة من خلال باب الجنة الذي فُتِح له، يطلب طلبًا آخر «فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي [فأخبرهم]..» ولكن كل شيءٍ عند ربي بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، لذا يقول له الملكان وقد استحالا إلى صديقين حميمين له: «نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه»[1].

نَمْ أطيب ما يكون النوم، واسْكُنْ ألذ ما يكون السكون.. نَمْ في سلام وأمان لا منتهى لهما، وطمأنينة لا حد لها.. نومة عروس مستغرقٍ في بحر من الجمال والنعيم.. نومةً كحكاية ساحرة بروعتها مليئة بلحظات النشوة الغامرة الآسرة.. تستيقظ

(١) الترمذي (١٠٧١)، وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦٠).

منها على بشريات الرب الكريم وهبات من الفضل العميم.

وهكذا ينام نومةً غيبية يعلم ربي المتعال كنهها.. ينام «حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

نفسي فداؤك من مَيْتٍ ومن بَدَنٍ ◆◆◆ ما أطيب الذِّكرَ والأخلاقَ والجسدا![1]

ولكن ما مصير الروح والجسد.. ما مصيرهما؟

◆ مصير الروح.. مصير الجسد:

لا تغمض طَرْفَك وانظر له وهو ينام نومةً مختلفةً عن نومتنا إذ «يُعاد الجسد لما بدأ منه» فربما ذهب مع التراب، أو بقي على حاله كرامةً للمقربين من أولي الألباب، وأما روحه «فتجعل نسمته في النَّسَمِ الطيب، وهي طيرٌ يَعْلَقُ[2] في شجر الجنة»[3].

ويستمر كذلك في نومه حتى «يُبعث في القبر على ما مات عليه المؤمن على إيمانه..»[4] كما قال الحبيب المصطفى ﷺ.

---

(١) البيت لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. المحاضرات والمحاورات، للسيوطي ص: ٥٩.

(٢) قال الأعظمي في تحقيق موطأ مالك - رواية يحيى ٢/ ٣٣: ضبطت الكلمة في الأصل على الوجهين؛ بفتح اللام وضمها، وكتب عليها «معًا»، وبهامش الأصل: في «ع: بفتح اللام: يَسْرَح، وبضم اللام يأكل».

(٣) ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).

(٤) أحمد (١٤٥٤٣)، ومسلم (٢٨٧٨).

وهكذا كانت رحلة صاحب القلب المنيب في قبره.. **أفيعلم من يمشي فوق التراب.. كيف تضوع صاحبهم شذًا وقرنفلًا..** أم هل تعلم السماء الشاكية والأرض التي كانت على فراقه باكية، وكانت لسجوده عليها مفتخرةً مزدهيةً متعالية، أفتعلم ما وارت.. ومن وارت؟

وَدَّتْ بقاع بلاد الله لو جُعِلتْ ... قبرًا له لحباها جسمه طيبا

كانت حياتك للدنيا وساكنها ... نورًا فأصبح عنها النور محجوبا

لو تعلم الأرض من وارت لقد خشعت ... أقطارها لك إجلالًا وترحيبا[1]

أيتها الروح الطاهرة.. انظري هناك: منازل خاصة.. لمن هي؟

ورأت الروح الطاهرة في مجتمع الأرواح أرواحًا لها مزيتها الخاصة، ومنازلها المعظمة؛ إذ رأتها تنطلق مرتفعةً إلى حيث لا يصل أحدٌ من الأرواح التي معها، هناك حيث عرش الرحمن، وتساءلت الروح الطاهرة عن هذه الأرواح التي حازت هذه الميزة الخاصة، والرعاية الفريدة، فأجيب بأنها أرواح الشهداء، فالشهداء لعظيم منزلتهم عند ربهم «في حواصل طيرٍ خضرٍ، لها قناديلُ [من ذهبٍ] معلقةٌ بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، [ترد أنهار الجنة.. تأكل من ثمارها]، ثم ترجع إلى قناديلها»[2].. ورأى من نعيمهم العظيم في الفترة البرزخية أنهم «على بارق

(١) الأبيات لابن دريد. ينظر ديوانه ص: ١٢.

(٢) ابن ماجه (٢٨٠١) والترمذي (٣٠١١) وحسنه.

نهرٍ بباب الجنة في قبةٍ خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرةً وعشيةً»[(١)].. ولعظيم منزلتهم عند ربهم، وصدقهم في دنياهم «يشرف عليهم ربهم فيقول: ألكم حاجةٌ؟ تريدون شيئًا؟ فيقولون: لا.. إلا أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرةً أخرى».. يا لرفعة منزلة هذه النخبة المميزة من عباد الله.. والطائفة النموذجية، والعصبة الرائعة ممن صدقوا الله فصدقهم الله، وأعلى منازلهم، وأكرم نزلهم.. أولئك المميزون في الدنيا وفي البرزخ وفي اليوم الآخر، والمميزون بعد ذلك في جنان الخلد، حيث سكناهم الفراديس العلى، ورفقتهم في الملأ الأعلى.

ورأت روح صاحبنا الطاهرة.. في هذه الأرواح المكرمة أرواح شهداء أحدٍ التي تميزت بشدة الحب لإخوانهم المسلمين من أهل الدنيا، ورغبتهم المحبة المشفقة ليعلموا بما كرَّمهم الله به، حتى أنهم «لما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم [وحسن منقلبهم] قالوا: [يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا]، من يبلغ إخواننا عنا: أنا أحياءٌ في الجنة نرزق.. لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتولوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم قال فأنزل الله

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩][(٢)]..

(١) أحمد (٢٣٩٠)، وابن حبان بترتيب ابن بلبان (٤٦٥٨).

(٢) أبو داود (٢٥٢٠)، وأحمد (٢٣٨٨)، والحاكم (٢٤٤٤)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

زيارةٌ صغيرةٌ من حبيبٍ من أهل الدنيا لحبيبه من أهل البرزخ:

ولا تنقطع علاقة الأرواح بقبورها بل تبقى لها علاقةٌ ما بها؛ إذ ترى روح صاحبنا المنيب كسائر أرواح المؤمنين تزور قبرها فتكون على أفنية القبور وقتًا فلها «إشرافٌ على قبورها، وهي في مقرها»[1]، وللروح شأنٌ آخر غير شأن الجسد المعهود، إذ تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصالٌ بالبدن بحيث إذا سَلَّم المسلم على الميت رد الله عليه روحه، فيرد عليه السلام مع أن روحه تكون في الملأ الأعلى[2]...

أَشْرِفْ على قبره وتُرْبه، لترى من أهل الدنيا بعضَ صَحْبِه قد جاءه زائرًا يدعو له ويستغفر له، ويعتبر بمصيره، لما وقف على قبره.. فثارت الأشواق، وهاجت الأحزان.. سلم عليه ودعا، وترقرقت الدموع، وأهاجت الذكريات القلب الولوع، فقام صاحبه بعد الدعاء يناجي صاحبه المدفون، ويبوء بذنبه أمام رب السماء يقول:

---

(١) الروح، ص: ١٠٠.

(٢) وقد يُسأل كيف هذا؟ والجواب: أن الروح غير الجسد، وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون في غيره وهذا غلط محض بل الروح تكون فوق السموات في أعلى عليين وترد إلى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك وروح رسول الله في الرفيق الأعلى دائما ويردها الله سبحانه إلى القبر فترد السلام على من سلم عليه وتسمع كلامه وقد رأى رسول الله موسى قائما يصلي في قبر ورآه في السماء السادسة والسابعة فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء. انظر الروح، ص: ١٠١.

أمشـــي لقبرك والخطى مذعورةٌ ◆◆◆ والقلب من فرط الأســـى يتقطعُ

قد كنـــتُ أنطقُ بالوداع وأســـمع ◆◆◆ واليـــوم أسقى من لظاه وأفجعُ

◆ **أي حبيباه!** هل بقيتُ بعدك ثابتًا على ما تعاهدنا عليه في حياتك؟

فارقتني طيبًا مطيبًا.. فهل بقي في أعمالي.. في تفكيري.. في يقيني ذلك الطيب، وذاك الصدق؟

كم لَعِبَتْ بي الدنيا بعدك فهل إلى عفو ربي من سبيلٍ؟

لقد أُراني -لو بَقيتَ لي حيًّا- لكنتَ لي أعظم معينٍ على ديني ودنياي، لقد أصبحتُ بعدك هائمًا..

أين عزمك الذي ينير لك ولي الليل فيجعلك عزمك أمامي في ظلمات الليل قائمًا..

أين يقينك لينير لي دربًا أظلمتْ علي فيه خطايا الأعمال، فأصبحت فيه متألمًا نادمًا..

أين صفاؤك وهلعك من إغضاب الجبار ليُبْعِدَ عني شبحًا من الغفلة جاثمًا..

أين حزبك من القرآن، وأورادك من الذكر، تبعث بها همتي بعد أن كنتُ بعدك نائمًا..

◆ أي حبيباه!

لقد أفسدت ذنوبي بعدك أركان دنياي.. فصار نهاري من بعدك ليلًا قاتمًا:

وكل بساط عيشٍ سوف يُطْوى ... وإن طال الزمان بها وطابا

ولا يُنبيك عن خُلُقِ اللَّيالي ... كمن فَقَدَ الأحبة والصحابا[1]

وترقرق الدمع الحزين.. ثم أفاق فقال:

◆ أي حبيباه!

أرجو أن يكون لي بك معتبرٌ، وبخلقك مؤتسى.. ولقد تذكرتُ يوم اجتمعنا فتذاكرنا قصة أبي قلابة حين أقبل من الشام إلى البصرة فنزل منزلًا فيه قبورٌ فتطهر، وصلى ركعتين بليلٍ، قال: ثم وضعتُ رأسي على قبرٍ -وما شعر- فنمتُ.. ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول: قد آذيتني منذ الليلة ثم قال: إنكم تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل، ثم قال: الركعتان اللتان ركعتهما خيرٌ من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله أهل الدنيا خيرًا، أقرئهم منا السلام، فإنه يدخل علينا من دعائهم نورٌ أمثال الجبال[2].

◆ أيا حبيباه:

قد والله اشتقنا رؤية ذلك المحيا، هل وجدت ما وعدك ربك حقًّا.. إني لأرجو

(١) البيتان لأحمد شوقي -رحمه الله-.

(٢) الروح، ص: ٨.

أن يكون الله قد أكرمك باللحاق بالصالحين، وإني لأرجو أن أكون على ذلك الدرب الذي تعاهدنا عليه، ثم التفت إلى بقية القبور وكرر الالتفات إلى قبر صاحبه والدموع تزين مقلتيه، وتجري على خدوده جريان اللجين الصافي، والعذب النمير.. وألقى تحية الحياء، والوفاء المشرق المنير..

يا أهل القبور:

السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين [وأتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون]، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون.. أنتم لنا فرطٌ، ونحن لكم تبعٌ.. أسأل الله العافية لنا ولكم.

ثم تنهد وقال: «اللهم اغفر لأهل هذه المقبرة، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنَّا بعدهم»[1].

وكم أسمعْتَني وعظًا نديًّا ••• وأنت اليوم أوعظ منك حيّا

لَكَمْ أتحفْتَني بوفاء خلٍ ••• وكنت بصحبتي دومًا حفيّا

فيا لِلّه كم سِرْنا وجئنا ••• وأعملنا الرَّواحل والمَطيّا

وكم بسَمَت لنا غرُّ الليالي ••• وكان زماننا صُبحًا مضيّا

وكان الودُّ سلسالًا معينًا ••• وزَهر الحبِ نقطفهُ شهيّا

(١) أحمد (٢٤٤٢٥)، ومسلم(٩٧٥)، ابن ماجه (١٥٤٦).

وكم مـــن ذكرياتٍ فـــاض منها ... حنينُ الشـــوق يسعى اليوم سعيا

يشـــاطر ذِكْرَكُـــم حـــزنٌ عميقٌ ... فيجـــري الدَّمع مدرارًا ســـخيّا

وذكـــرُكَ يســـتجدُّ بـــكلِّ يومٍ ... فلســـتُ لذكركـــم أبدًا نســـيّا

◆ أي حبيباه:

يـــا راحلًا عـــن ناظريـــه وحبه ... في ســـابحات قلوبنـــا متربعُ

أبشـــر! ولا تحـــزن! فرحمة ربنا ... تســـع العباد وفضله لا يوســـعُ

فهرس الموضوعات

الإهداء ٥

تقديم علامة اليمن فضيلة الشيخ/ محمد بن إسماعيل العمراني ﷾ ٦

تقديم فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور/ حسن الأهدل ﷾ ٨

تقديم فضيلة الشيخ/ محمد الصادق مغلس المراني ١١

السلسبيل المورود قصة رحلة الخلود ١٤

مقدمة ١٥

هذا الكتابُ يحكي قصةً حقيقيةً.. بسم الله مجراها ومرساها: ١٦

أيها المشتاق لنعيمٍ تتطاول له الأعناق، وتذوب لنيله الأحداق: ١٩

منهج كتابة هذه السلسلة المباركة: ٢٢

أفراح بين السماء والأرض إلى الرفيق الأعلى الأسعد ٢٦

المشهد الأول: الخطوات المجيدة.. بين يدي حياةٍ جديدة.. ..... ٢٧

بداية العرس والزفاف ٧٢

وداع على غير موعد: ٢٩

يا لجمال كلماته! ٣٥

وتابَعَ صاحبُه تفكيرَه: ٣٦

موعد الصفاء مع أحب لقاء: ٣٨

تردد الإفاقة والإغماء.. لا تقلق.. قد سبق ذلك مع خير الناس ﷺ: ٤٠

أبشر! هنا موعدٌ.. مع المعنى الحقيقي لحسن الظن بالله: ٤٢

إنه صاحب القلب المنيب: ٤٤

لم تجتمع عليه سكرة الموت وحسرة الفوت.. واحدةٌ تكفي: ٤٤
مسك الختام لخير حياةٍ مع الأنام: ٤٦
المشهد الثاني الغيب يتحول إلى شهادة: **٤٩**
نحن «أولياؤكم».. إنه إعلان السعادة ٤٩
آخر استفاقةٍ.. انظر من القادم ليلقى أحباءه وعشاقه: ٤٩
الناس حول الشابِّ المنيب بين جاهشٍ بالبكاء، ومترقِّبٍ يلهج بالدعاء: ٤٩
استقبل العالم الجديد.. نعيمٌ أُعِدَّ لكُلِّ أَوَّابٍ بَرٍّ قانتٍ سعيدٍ: ٤٩
الله! الله!.. إنه يسمع الآن البشرى.. ..... ٥٢
في ساعة الانتقال.. كفاها بشرى من أوليائه ومحبيه من الملأ الأعلى: ٥٢
بداية الزفاف: ٥٤
أيها القانت الأواب: ٥٦
لا تخف أن يُرَدَّ ثوابُك، ولا تحزن على ذنوبٍ فرطت منك في حالة ضعف: ٥٦
أيُّها الحبيب الصفيُّ: في رحلة الأهوال القادمة.. الصحبةَ.. الصحبةَ: ٥٨
أيها المشتاق.. هل أتاك نبأ قصة حبٍ طاهرٍ صادقٍ بين مخلوقين.. تجاهله العشاق: ٦٠
دغدغة عواطف العبد المخبت على فراش موته بذكر بعض نعيم دار السعادة: ٦٢
إنها البشرى.. تتابع.. أما المجرمون فيقولون حجرًا محجورًا: ٦٥
بعد هذه البشائر المتتابعة: ما أعظمُ أمنيةٍ لك أيها المخبت المنيب؟! ٦٦
أيتها الملائكة الطاهرة: عَجِّلِي.. عَجِّلِي.. يا رب طال شوقي إليك فعجِّل قدومي عليك: ٦٩
آخر نظرةٍ إلى دنيا الكدح: ٧١
المشهد الثالث: رحلة الخروج إنه الزفاف وسعادة العروج **٧٤**
نعيمٌ في عذاب الموت؟ هل تتصور ذلك؟ ٧٤

بهاءٌ وسناءٌ.. إنها رحلةٌ في آفاق الجمال.. تلمع في بداية الترحال: ٧٤
استقبل تحية الخروج فرحًا جَذِلًا من عالم الفانية إلى عالم الباقية: ٧٦
الملائكة تتنافس على حمل الروح الطاهرة.. من يريد صورةً تذكارية؟! ٨١
الملائكة توصي بعضها بالرفق بك.. يا للشوق إلى دفء هذا الحنان! ٨٢
العروج إلى السماء.. زفافٌ جديد: ٨٥
انقسم الملائكة الذين يزفونك إلى قسمين: ٨٦
أيا حبيباه: هذا المشهد المرتقب ولا ألقاب الدنيا، وهذه الفخامة ولا فخامة الدنيا.. ..... ٨٨
أيها المخبت الأواب: كبار الملائكة ينضمون لتشييع روحك في زفافها: ٨٨
لقاءٌ رائعٌ بأبيك آدم.. وسعادة وابتهاج مستحكم: ٩٠
اجتماعٌ مع المخبتين من المؤمنين في السماء: ٩١
هل تحلم بزيارةٍ سريعةٍ لأعزِّ الأصدقاء الذين خرجوا قبلك من الدنيا؟ ٩١
دعوه فإنه كان في غَمِّ الدنيا.. افرحوا بمرتبته العليا: ٩٤
أبشر بخير يومٍ مَرَّ عليك: ٩٧
صك الرضوان.. وشهادة الغفران.. ونعيم الفوز العظيم.. يأمرُ بإبرامه الرحمن: ٩٧
أتدري ما عِلِّيون؟ أتدري ما فخامته وعظمته؟ أتعلم منزلته الرفيعة؟ ٩٨
أيا أنيس القرآن.. أيا عابدًا في محاريب الإيمان: ١٠٠
المشهد الرابع الأفراح البرزخية ١٠٢
ثناء الناس في الدنيا عليه تترا.. فكيف لو علموا ما وصل إليه منزلة وفخرًا؟ ١٠٥
لله مكانك يا صاحب القلب المنيب! هذا مقامٌ يطمح إليه الطامحون: ١٠٦
عودة الروح الفرحة المستبشرة تنادي: قدِّموني.. قدِّموني: ١٠٩
ضمة القبر لا بُدَّ منها.. اطمئن إنها ليست عذابًا: ١١١

وداع المحبين له.. أَيُسْمَعُ ذلك الوداع؟ ١١٤
المشهد الخامس ابتلاء في القبور.. ابتلاء يعقبه حبور ١١٥
ترقب نتيجة تملأ الفؤاد بالسرور ١١٥
حرسٌ من القوات الإيمانية الخاصة حيث لا تنفع كل أسلحة الدنيا: ١١٥
يا صاحب سورة الملك.. هذه ساعة أمانك: ١١٧
أول اختبارٍ في عالم الغيب: ١١٨
المؤمن يحاول قطع الاختبار.. ويحن إلى صلاته.. إنه يأرز إلى إيمانه: ١١٩
أسئلة الاختبار العظيم! ١٢٠
تذكر أساس التوفيق للإجابة، وإلهام السداد والإصابة - مفتاح اللغز «فيقول ما كان يقول»: ١٢٢
نتيجةٌ مرضيةٌ، وعيشةٌ هنيةٌ.. وفتحٌ مبين.. لعبدٍ من المتقين: ١٢٥
ترقب الفوز الكبير، وتنعم برؤية الأفراح المستقبلية: ١٢٥
خاتمة بشائر القبر: لقاءٌ حميمٌ مع رفيقٍ ازدهر حبه.. ولكنه لقاءٌ غير متوقع: ١٢٧
كيف سيقضي الحياة الناعمة في البرزخ؟ ١٢٩
ولكن ما مصير الروح والجسد.. ما مصيرهما؟ ١٣٠
مصير الروح.. مصير الجسد: ١٣٠
أيتها الروح الطاهرة.. انظري هناك: منازل خاصة.. لمن هي؟ ١٣١
زيارةٌ صغيرةٌ من حبيبٍ من أهل الدنيا لحبيبه من أهل البرزخ: ١٣٣
يا أهل القبور: ١٣٦
فهرس الموضوعات: ١٣٨

بصائر المعرفة القرآنية

(٢٤)

سلسلة فقه القدوم على الله

السلسبيل المورود قصة رحلة الخلود

الكتاب الأول

أفراح بين السماء والأرض إلى الرفيق الأعلى الأسعد

في عالَمٍ يَمُورُ بالأحداثِ والمُجْرَيات تِباعًا، ويتفنَّنُ الشَّيطانُ وقَبيلُهُ في عرضِ أباطيلِهم، ويُجْلِبون بِخَيلِهم ورَجلِهم للإيقاعِ في صفوفِ المؤمنين، والإيقاعِ بجُموعِ المُوَحِّدين في مهاوي الرَّدى وصحراء التِّيْهِ المعاصر، وفي سعيٍ حثيثٍ دائبٍ غيرِ ممنونٍ يقدِّمون بِضاعتَهم الفاسدةَ المفسدةَ على صُوَرٍ تختلبُ القلوبَ، وتسحرُ الألبابَ سواء بما تَخُطُّهُ أقلامُهم المسمومةُ، أو تَبُثُّهُ قنواتُ عُهْرِهِم مِنَ البرامجِ المَلْغُومة... في ظِلِ هذا الزَّخَمِ المَهْولِ للإنتاجِ الأدبيِّ والإعلاميِّ الإبليسيِّ الدَّجَّاليِّ، كان لا بُدَّ من مدافعة الحرفِ بالحرفِ والكلمةِ بالكلمةِ... مِنْ هنا جاءت فكرةُ هذا العملِ: (سلسلةُ رحلةِ الخُلُود) التي صدرت على هيئة مِنَ الكتابةِ فريدة في بابها، معجبة في سَرْديَّةٍ أحداثُها أخَّاذةٌ بتصويرِها وتَجْسيدِها للأحداثِ المستقبليَّةِ التي سيَشهدُها واقعًا شابٌّ أحبَّ اللهَ عز وجل بِكُلِّيَةِ قَلْبِهِ، فأحاطه اللهُ عز وجل بوافرِ عنايتِه، ولَاحَظَهُ بِلُطْفِ حنانِه في جميع محطَّاتِ حياتِه الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ.

(سلسلةُ رحلةِ الخُلُود) تصويرٌ بديعٌ لإرهاصاتِ الانتقالِ من هذه الدَّارِ إلى دارِ المآلِ والقرارِ، ابتداءً بالموتِ ومفارقةِ الرُّوحِ الجسدَ، ثُمَّ الحياةِ البَرزخيَّةِ، ثُمَّ ما يتلو ذلك من مشاهدِ اليومِ الآخِرِ، وقيامِ السَّاعة، ودخولِ الجَنَّةِ وما فيها مِنْ صُوَرِ النَّعيمِ المُقيمِ واللُّطفِ الكريمِ.